الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور
- خنشلـــــــة -

كليـــــة الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

تيمة العشق في رواية "حارس العشق الإلهي لأدهم العبودي"

مذكرة مقدمة لقسم اللغة و الأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر2
تخصص: أدب حديث و معاصر

إعداد الطالبة:

- عبلة رداح

تحت اشراف الأستاذة :

د.- سعاد عون

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد الحميد ختالة	أستاذ محاضر ب	جامعة عباس لغرورخنشلة	رئيسا
سعاد عـــــون	أستاذ محاضر ب	جامعة عباس لغرورخنشلة	مشرفا
سارة مسعودي	أستاذ مساعد أ	جامعة عباس لغرورخنشلة	مناقشا

السنة الجامعية : 2018-2019

الإهداء :

بسم الله الرحمن الرحيم : ((اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ))

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ،ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك،ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ،إلى نبي الرحمة و نور العلمين ،سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من تعجز الكلمات عن إيفائه حقه إلى والدي العزيز أطال الله في عمره ،ورزقه الصحة و العافية ،وأحسن عمله .

إلى أملي في الحياة و قرة عيني ، وسر نجاحي أمي الحبيبة حفظها الله و رعاها .

إلى من بهم يشتد ساعدي و تعلى هامتي ،هم سندي و ركائز نجاحي أخواني محمد ،زكرياء و عبد الصمد .

إلى صديقتي و حبيبتي أختي بثينة التي ساندتني في مشواري هذا، وإلى الكتكوتة والمدللة سندس وفقها الله في دراستها .

إلى أختي التي لم تنجبها أمي فاطمة الزهراء رفيقتي في دربي .

إلى سندي في هذه الحياة ،وليد الذي لم يتهاون قط في تقديم يد المساعدة ،وإلى كل عائلته الكريمة، جزاه الله خيرا.

إليكم جميعا .

عبلة

شكر وعرفان :

الحمد لله رب العالمين أولا وآخرا ، و ظاهرا و باطنا ، عدد خلقه و رضا نفسه و زنة عرشه ، ومداد كلماته ، و الصلاة على نبيه الصادق المصدوق الزاهد في الدنيا ، المجتبي

من خلقه ، الذي جاء الحق بمحبته ، و زهق الباطل بظهوره و أشرقت الأرض بنوره ،ثم الصلوات الوفيات على آله الطيبين و أصحابه و التابعين ،أما بعد :

و عرفانا مني بالمعروف أتوجه بالشكر و الامتنان إلى أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة و الأدب العربي الذين كانوا نبراس ينير دربنا في سبيل تحصيل العلم ، لكم مني كل الثناء و التقدير ، بعدد قطرات المطر و ألوان الزهر و شذى العطر ، على جهودكم الثمينة و القيمة من أجل الرقي بمستوانا الدراسي .لذا تستحقون منا كل عبارات الشكر و العرفان .

أخص بالشكر الأستاذة المحترمة " **سعاد عون** " فلك مني كل معاني الحب و التقدير ، الذي يساوي حجم عطائك الامحدود ،أشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث و قدم لي يد العون ، وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا ، و" اللهم لا سهل إلا و جعلته سهلا و أنت تجعل الحزن إن شئت سهلا " .

مقدمة

مقدمة:

يعد التصوف أحد أهم و أقدم التيارات الروحية الإسلامية التي لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه ؛ و التصوف تجربة نابعة من الإنسان متعلقة بجانبه الروحي ، يسمو بالنفس و يحصنها من الشهوات و الزلل ، ولعل أبرز مظهر يجسد التصوف هو العشق.

عرف المذهب الصوفي في الآونة الأخيرة عدة كتابات حديثة ، تناولت موضوع العشق على شكل روايات ، ولعل أبرز من خاض في كتابة مثل هذه الروايات نجد " اليف شافاك" و روايتها " قواعد العشق الأربعون " التي أصبحت بفضلها أشهر من نار على علم ، وذلك خلال السنوات الأربعة الأخيرة ؛ إضافة إلى رواية "فرسان العشق الإلهي "لـــــــ عمار علي حسن ، وفي بحثي هذا أخذت رواية "حارس العشق الإلهي " للروائي المصري " أدهم العبودي " التي فتحت له أبواب الشهرة على مصراعيه.

ولقد وقع الاختيار على هذه الرواية نظرا لتاثيرها البالغ عليّ ، فانجذبت إليها لأسلوبها الفذّ، و قاموسها اللغوي الصوفي الذي أعطاها صبغة خاصة و فريدة ، فقررت أن أدرسها دراسة خاصة ؛بغية تقصي التيمة المهيمنة عليها؛ والتي أعطتها بصمة واضحة جلية بين ثناياها ألا وهي تيمة " العشق ".

وعلى ضوء هذا طُرح التساؤل التالي : ما المقصود بمفهوم "التيمة" ؟ وكيف تجلت تيمة "العشق" في رواية حارس العشق الإلهي ؟

و في رحلة بحثي للإجابة على هذه التساؤلات ، كانت خطة البحث كالتالي : مقدمة جاءت كتمهيد للبحث الذي يحتوي فصلين،جاء الفصل الأول نظريا ؛ تناولت فيه مفهوم التيمة و مفهوم المنهج الموضوعاتي ، ثم عرجت بالحديث عن المذهب الصوفي وأهم رواده ؛ كما خصصت جزءا للحديث عن العشق بصفة عامة و العشق الإلهي بصفة خاصة ؛ لأنه الموضوع الغالب في الرواية ، أما بالنسبة للفصل الثاني؛ فركزنا فيه على الجانب التطبيقي ، وقد تناولت فيه أنواع العشق الواردة في الرواية ، وهي العشق الإلهي و العشق الإنساني ؛كما تحدثت عن الحقل المفهومي للفظة " عشق "؛ إضافة إلى دلالة

قواعد العشق الأربعين في الرواية ، وفي الأخير ختمت بحثي بمجموعة من الإستنتاجات التي توصلت إليها من خلال الدراسة الموضوعية للرواية .

و بطبيعة الحال فقد اتخذت الدراسة منهجا خاصا سار البحث على منوالها ؛ بغية إبراز الجوهر الكامن في الرواية ؛ألا و هو المنهج الموضوعاتي .

ولعل أنه من الأسباب التي دفعت بي إلى اختيار هذا الموضوع ؛يعود إلى سببين الأول ذاتي ، ويتمثل في الرغبة التي تملكتني منذ الوهلة الأولى التي قرأت فيها هذه الرواية للخوض في معانيها ، و السعي إلى فهمها و دراستها عن كثب، أما السبب الموضوعي؛ فيتمثل في محاولة تطبيق المنهج الموضوعاتي على هذه الرواية بشكل صحيح آملة الوصول إلى أهم تيمه في الرواية ، و استخراج الأفكار الأساسية المشكلة لها .

أما المصادر والمراجع التي أسهمت بشكل فعال في تغذية هذا البحث؛ فقد تنوعت و تعددت و أبرزما يمكن ذكره ؛هوكتاب مناهج النقد الأدبي للدكتور يوسف وغليسي،و كتاب سحر الموضوع لحميد لحميداني، ... وغيرهاكثير.

أما عن الصعوبات التي واجهت مسيرة هذا البحث؛ فقد تمثلت في حداثة ظهور هذا المنهج الموضوعاتي على الساحة النقدية ،و صعوبة تطبيق آلياته ، وذلك لندرة الدراسات حول هذا المنهج .

و ختاما ، أود أن أوجه عظيم الشكر و خالص التقدير و الاحترام إلى الأستاذة الفاضلة المشرفة : "سعاد عون " التي لم تتوانى قط في تقديم يد المساعدة و التي أسهمت بشكل كبير – بتشجيعها و توجيهها – في ميلاد هذا البحث و اكتماله على هذه الصورة ، فجزاها الله خيرا .

الفصل الأول: مفاهيم أولية

1/ مفهوم التيمة أ/لغة.

ب/اصطلاحا.

2/المنهج الموضوعاتي.

3/الاتجاه الصوفي.

4/مفهوم العشق أ/لغة.

ب/اصطلاحا.

5/مفهوم العشق الإلهي.

6/ أبرز أعلام الاتجاه الصوفي.

1/مفهوم التيمة:

مما لا شك فيه؛ أن مفهوم "**التيمة**" كغيره من المصطلحات الأجنبية ؛ التي تحتاج تعريفا من المعاجم الغربية ؛حتى يتسنى لنا الفهم الصحيح لهذا المصطلح النقدي.

أ/لغة:

إن لفظة "تيمة" مأخوذة من الكلمة الأجنبية "thème" والتي تعني الموضوع. ذكرت هذه اللفظة في عدة معاجم فرنسية من بينها معجم روبير (le) Robert التاريخي "والتي تدل على الشيء الذي نضعه، وهي مشتقة من الفعل وضع [1] أي الشيء الذي يوضع من قبل الكاتب وتتمحور حوله الفكرة العامة للنص المكتوب؛ هذا إضافة إلى "معجم اللغة الفرنسية" الذي أورد هو الآخر هذه اللفظة وتعني المعنى الذي هو موضوع حديث شخص ما أو مركز انشغاله"[2] و، كلا المعجمين لا يخرجان عن نطاق نفس المعنى.

وبما أن كلمة تيمة تعني الموضوع ؛فهذا يعني أخذ تعريف لهذه اللفظة من المعاجم اللغوية العربية، ففي معجم "المحيط" لبطرس البستاني يعرف كلمة "موضوع" " بأنه هو الشيء الذي عين للدلالة على المعنى، والمشار إليه إشارة حسية"[3] نلاحظ أن المعاجم العربية والأجنبية تدور في فلك واحد حول معنى هذه اللفظة ،وهذا دون أن ننسى التعريف الوارد في المعجم الوسيط وهو " المادة التي

---

[1] ينظر: le robert dictionnaire de la langue française. Paris 1992.p. 2114

[2] ينظر: dictionnaire de la langue française. Paris 1992.p. 1957

[3] بطرس البستاني، معجم المحيط، مكتبة لبنان، بيروت 1998، ص 974.

يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"[1] فهي بمثابة القاعدة الأساسية التي يبنى عليها النص.

وفي تعريف آخر "لمحمد التونجي" الذي يعرف لفظة "تيمة" في معجمه المفصل في الأدب "على أنها الفكرة الأساسية والمحورية في عمل أدبي وتطلق على الفحوى التي بنيت عليه قصة أو أي عمل أدبي[2].

نستطيع القول أن لفظة "تيمة" جاءت بمعنى الموضوع الذي يدور حوله العمل الأدبي، وهذا ما أثبتته المعاجم اللغوية الأجنبية والعربية على حد سواء.

ب/ اصطلاحا:

أما في الجانب الاصطلاحي فنأخذ تعريفا "لدومينيك منغينو" Dominik Mingino حيث عرفه بقوله " الموضوع هو thème المرادف لكلمة topic ويتحدد في شكل من أشكاله، بأنه بنية كبرى، ويتحدد في نطاق النقد الموضوعاتي على شكل شبكة من الدلالات أو عنصر دلالي متكرر لدى كاتب ما، في عمل"[3] ؛وهذه الدلالات تختلف من نص لآخر بحسب الكاتب وقد نجد عدة دلالات في النص الواحد. كأن نجد مثلا دلالة الحرب، الوطنية، العلم،... إلى غير ذلك من الدلالات.

ونجد لهذا المصطلح عدة مرادفات نذكر منها على سبيل المثال: الغرض، الفكرة، الأساسية، الجذر، المداري ... ولقد تحدث "**يوسف وغليسي** " عن تضارب في تعريف هذا المصطلح من قبل النقاد وعبر عنه أنه تضارب عربي

[1] مجمع اللغة العربية القاهرة، المعجم الوسيط، ط4. 2004، ص 1040.

[2] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية 1999، 1419 ه، المجلد 2 ص 297.

[3] يوسف وغيلسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط 1، 1428 ه، 2007 م، الجزائر، ص 150.

حاد في ترجمة المصطلح فيأخذ تعريفا "لميشال كولو" (M. collo) في إحدى دراساته- نقلا عن نقاد آخرين كرولان بارت- يرى أن الموضوع مكررا "بمعنى أنه يتكرر في كل عمل، ويعد هذا التكرار تعبيرا عن خيار وجودي"[1] ؛ وهذا التكرار الموجود في العمل الأدبي هو الذي يخلق التيمة الطاغية في النص ؛ والتي يدور حولها العمل الأدبي.

[1] المرجع السابق، ص 149.

إلى جانب الكتاب الغربيين نجد في الكفة الأخرى الكتاب العرب الذين قد تناولوا هذا المصطلح ونوعوا في تعريفه، حيث نجد مثلا "سعيد علوش" الذي عرفها "بأنها تحديد إجرائي تعالج من خلاله وحدات ذات درجة، تكون تركيبة واحدة دون اشتمالها على العناصر نفسها، شريطة تداخل الأشكال المترابطة لا الأشكال الحرة"[1].

لقد استعمل هذا المصطلح أول مرة من قبل "جان بول ويبرJean Paul Weber" ويعد هو الآخر رائدا من رواد هذا المنهج الموضوعاتي، وقد استعمله بصفة عفوية انطباعية ؛ على الفكرة والصورة الأساسية ؛ التي تتردد مرارا وتكرارا في الإبداع الأدبي؛ عند أي كاتب.

ويعرف "عبد الكريم حسن" هذا المصطلح النقدي بقوله" هي وحدة من وحدات المعنى حسية علائقية مشهود لها بخصوصيتها عند شخص ما، تنمو نموا شبكيا إشعاعيا أو خطوطيا أو جدليا أو منطقيا فتبسط العالم الخاص بالكاتب"[2] . ومن خلال هذه التعاريف اللغوية و الاصطلاحية ،نخلص في الأخير إلى أن التيمة تعني الموضووع الطاغي في العمل الأدبي؛ الذي ينتجه أي كاتب؛ وتختلف هذه التيمة من أديب إلى آخر بحسب نوع العمل الأدبي المراد الكتابة فيه ،و تتجسد هذه التيمة من خلال آلية وهي "التكرار" سواء بتكرار اللفظة أو بتكرار مرادفاتها ؛أو بتكرار عبارات تدل عليها، وهذا يساعد الناقد على إيجاد التيمة الأساسية بصورة واضحة و دقيقة في الآن نفسه.

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعي، شركة بابل للنشر والطباعة الرباط، المغرب، 1989، ص 6.

[2] عبد الكريم حسن، النقد الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 1، 1990 م، ص39.

2/المنهج الموضوعاتي:

يعتبر المنهج الموضوعاتي من بين المناهج النقدية المعاصرة الحديثة النشأة، ولقد سمي موضوعاتيا نسبة إلى الكلمة الأجنبية "Thématique "وتحمل هذه الأخيرة عدة دلالات تنتمي إلى نفس الحقل: جذرية، موضوعية، غرضية، تيماتية، تيمة، ظاهراتية، المدارية ...

ظهر المنهج أولا في فرنسا في ستينيات القرن العشرين؛ في وسط نقدي فرنسي بالدرجة الأولى، حيث يعرفه "ميشال كولو"M.COLLO بأنه " مدلول فردي خفي ومادي يعبر عن العلاقة الإنفعالية للكائن مع العالم الحساس، يظهر ضمن النصوص من خلال تكرار متجانس للتبدلات ويشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء اقتصادي وشكلي لعمل ما"[1].

لقد نشأ هذا المنهج في أحضان الفلسفة الظواهرية ومن أهم أعلامه "غاستون باشلار GASTON BACHLAR " الذي يعد الرائد الأول له ، حملت لواءه جماعة نقدية سمت نفسها "مدرسة جينيف" آمنت بأن النص الأدبي عالم تخيلي مستقل عن العالم المعيشي، يجسد وعي الناص"[2].

يعتمد المنهج على التكرار؛ وهو لازمة من لوازمه، تتضح بذلك التيمة التي تطغى على العمل الأدبي " فالتردد المستمر لفكرة ما أو صورة ما يشبه أساسية أو جوهرية ،تتخذ شكل مبدأ تنظيمي ومحسوس أو ديناميكية داخلية أو الشيء الثابت الذي يسمح للعالم المصغر بالتشكل والامتداد"[3] داخل العمل الأدبي.

[1] ميشال كولو، النقد الموضوعاتي، تر:غسان، السيد مجلة الآداب الأجنبية، دمشق 1998، ص 35.

[2] يوسف وغليسي، منهج النقد الأدبي الحديث، جسور للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، ص 147.

[3] سعيد علوش، النقد الموضوعي، شركة بابل للنشر والطباعة الرباط، المغرب، 1989، ص 6.

يعمل هذا الأخير على دراسة وتحليل النتاج الأدبي شعرا كان أو نثرا ، و يهدف إلى البحث عن البنية العميقة والفكرة الأساسية الكامنة في نفس المبدع، ويقوم من مبدأ الحرية ؛ وهو الشيء الوحيد الثابت في هذا المنهج" فمبدأ حرية الناقد في ممارسة التحليل الموضوعاتي للأعمال الأدبية ؛هو الذي جعل أحد المهتمين بتاريخ النقد الفرنسي و.i "روجي فايول R. Fayolle يلاحظ أن هذا المنهج يرتبط بممارسات علم النفس التحليلي النفسي، إلى جانب الفلسفة الوجودية"[1] اللذين يعدان خلفية هامة في تكوين المنهج الموضوعاتي فهناك ارتباط وثيق بين المنهج النفسي أو"التحلفسي" والمنهج الموضوعاتي ،فهناك بعض المصطلحات التي أصلها من التحليلي النفسي الفرويدي ؛يوظفها المنهج الموضوعاتي خلال القيام بالدراسة الموضوعاتية للعمل الأدبي، فنجد من بين هذه المصطلحات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر: وساوس، طوابق الوعي، العقدة النفسية، إلى غير ذلك من المصطلحات التي تنتمي إلى الحقل النفساني، ونجد "رضوان ظاظا" يوظف مصطلح "الأنا" حيث يقول " الأنا الذي يتحدث عنه بروست هو أنه معطى نفسي عميق في الفنان وموضوع إعادة خلق، وما يجب فهمه هو أن الأنا المبدع يبتدع نفسه في الحركة التي يقول فيها ذاته، فهو يعتبر إذن عن نفسه بتجاوزها، والفعل المبدع لا ينفصل عن هذه الحركة المؤسسة له"[2].

ويعيد البعض الآخر العمل الأدبي إلى طفولة الكاتب ؛حيث تضع تلك الحوادث التي جرت للكاتب بصمة واضحة على أعماله الأدبية.

[1] حميد لحميداني، سحر الموضوع، منشورات دراسات سينيمائية، الطبعة 2، المغرب ، 2014، ص 28.

[2] مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان ظاظا، مراجعة: المنصف الشنوفي، عالم المعرفة ، الكويت،1997، ص 122.

3/الاتجاه الصوفي :

بعد الفتوحات الإسلامية ؛ توسعت الرقعة العربية ؛ مما أدى إلى الإغراق في ملذات الحياة الدنيا وإقبالهم الكبير حول إشباع رغباتهم، فظهر الاتجاه الصوفي كتيار معاكس لهذه الفئة من الناس ؛ وهذا الاتجاه جوهره هو النفور من كل ما هو دنيوي ، والسعي وراء كل ما هو أخروي.

يعرف في معجم المصطلحات الصوفية بأنه " التخلق بالأخلاق الإلهية، بالوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطنا ،فيرى حكمها من الباطن في الظاهر"[1]، كما يعرف كشاف اصطلاحات الفنون بأن التصوف " هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور منها: التزيي بزي المراد ليتلبس باطنه كما يتلبس ظاهره وهو لباس التقوى ظاهرا وباطنا"[2]وهو مذهب كله جد فلا يشوبه هزل ولا سخرية، وهو إخماد للصفات البشرية التي تتبع الشهوات الدنيوية. والسبب الرئيسي في ظهور هذا الإتجاه هو ابتغاء مرضاة الله ،وذلك عن طريق النأي عن كل ما يمثل شهوة دنيوية. ولقد سمى المتصوفون أنفسهم بأرباب الحقائق وأهل الباطن ،وسموا من عاداهم أهل الظواهر وأهل الرسوم"[3].

---

[1] عبد المنعم الحنفي، معجم المصطلحات الصوفية، دار المسيرة ، بيروت، 1987، ص 46.

[2] ينظر محمد علي النهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم الجزء الأول، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، ص 457.

[3] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2007، ص 191.

والحياة الصوفية هي حياة يخضع فيها الإنسان لألوان مختلفة من مجاهدة النفس، وكشف حجاب الحس وتصفية الحس، وتصفية القلب وتنقية من ألوان الشهوة والهوى، وقطع العلائق المادية التي يميل إليها الإنسان[1].

ونذكر أن الأصل في اشتقاق هذا الاسم الذي أطلق عليهم ؛اختلف في أصله وفي مصدره الكثيرون ؛ فهناك من يرى بأنه "لفظ اشتق من أصل الصفاء بمعنى النقاء، إذ سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها"[2] ونلاحظ أن هذا الرأي معقول ؛فالصوفية يبحثون عن النقاء والطهارة المطلقة، كما قيل أنهم "سموا بالصوفية لأنهم في الصف الأول ، بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه، واقيا لهم عليه ووقوفهم بسائرهم بين يديه"[3] ؛إضافة إلى أنه هناك من رجح كون كلمة التصوف مشتقة من الصوف ،ومثل أبو المفاخر الباخرز؛ وأضاف بأن أول من لبس الصوف آدم وحواء.

ونسبة الصوفية إلى الصوف "وإذ ألبس الصوف طالب من نفسه حقه لأن الصوف مركب من الأحرف الثلاثة: الصاد والواو والفاء فيطلب من الصاد الصبر والصلابة والصدق والصلاة، ويطلب من الواو الوفاء والوجد، وبالفاء الفرج والفرح"[4]. وللدلالة على هذا الأخير ؛نجد أيضا الزمخشري الذي أورد هو الآخر هذه اللفظة في كتابه أساس البلاغة بقوله " نسبوا إليه تشبيها بهم في النسك والتعبد

[1] ينظر: محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2011 ص 95.
[2] أبو محمد الكالابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: عبد الحليم محمود، القاهرة، 1960 ص 30.
[3] ينظر :احسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، إدارة الترجمان السنة، ط1، 1986، ص20.
[4] المرجع نفسه ص 29.

أو إلى أهل الصفة، فقيل مكان الصوفية هو الصوف الذي هو لباس أهل الصوامع"[1]، وقيل أن الأنبياء هم أيضا كانوا يلبسون الصوف.

وقيل أنهم سموا صوفية؛ نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال تعالى فيهم: <<لِلْفُقَرَاءِ الّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ >>[2] لأن الصوفية حالهم كأصحاب الصفة ؛حيث أنهم كانوا ينشغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته رغم فقرهم وعوزهم[3].

وفي تعريف لعبد الواحد بن زيد للصوفية يقول "القائمون لهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية"[(4)]وكان هذا التعريف جوابا لسؤال طرح عليه حول نظرته للصوفية.

أما بالنسبة للهدف الآخر الذي يسعى إليه الصوفيون الدراويش؛ بالإضافة إلى ابتغائهم مرضاة الله هو "المعرفة" فهي أول فرض فرضه الله على عباده ؛بدليل أن أول ما أنزل من القرآن الكريم يدعو إلى ذلك ، يقول عز و جل في كتابه الكريم :<<اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ(4) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) >> [5]

---

[1] أبو القاسم جار الله بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص 564.

[2] سورة البقرة، الآية 273.

[3] ينظر: السهروردي، عوارف المعارف: تح: أحمد عبد الرحيم السايح: مكتبة الثقافة الدينية، المجلة 1، ط1، 2006 ص 83.

[4] أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، تح: يوسف زيدان، دار الجيل بيروت، ط1، 1999، ص62.

[5] سورة العلق ، الآية 1-5.

فالصوفية وأهل الكتاب؛ لما علموا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطبته إياهم ،رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا من أبحر العلم والمعرفة ؛وذلك لما يتضمن من مظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وباب من أبواب الجنة ؛ التي وعد بها الله سبحانه وتعالى عباده الصالحين ،ولا تكون هذه المعرفة التي يصبون إليها إلا بحسن الاستماع الذي يعد صفة راسخة في نفوس الصوفيون الدراويش، فحسن الاستماع أساس كل خير لدى الصوفيين ؛ فيقول بعضهم "علامة الخير السماع ،أن يسمع العبد بغثاء أو صافه ونفوته ويسمعه بحق من حق"[1]

ويستدلون بذلك بقوله تعالى :<< فَبَشِرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ >>[2]، فعن هذه الآية تحدث ابن عطاء فقال: " في هذه الآية استجابة على أربعة (4) أوجه: أولها إجابة التوحيد ،والثاني إجابة التحقيق، والثالث إجابة التسليم والرابع إجابة التقريب[3]. فالاستجابة تكون على قدر حسن الاستماع وفي هذا السياق يقول السهروردي : الصوفية رزقوا سائر العلوم التي أشار إليها المتقدمون ومن أعز علومهم علم النفس ومعرفتها ومعرفة أخلاقها[4].ويوجد لهؤلاء المتصوفة أدب قائم بذاته ،وذلك يشقيه الشعر والنثر ،والدليل على ذلك هو ذلك الكم الذي كتب من قبلهم والذي ضرب بجذوره في أعماق الأدب العربي ، فنجد عدة مصادر ومخطوطات خاصة بعلمهم يدونون فيه أهم أفكارهم واتجاهاتهم ووجهات نظرهم

[1] أبي عبد الرحمان السلمي ، المقدمة في التصوف، تح : يوسف زيدان، دار الجيل ، بيروت، ط1 ، 1999، ص 30.

[2] سورة الزمر، الآية 18.

[3] أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، ص 53.

[4] المرجع نفسه، ص 24.

إلى الحياة، ولهذا الاتجاه عدة رواد؛ حملوا لواء الدين بوجهة نظر مختلفة عن غيرهم من المسلمين.

استعمل هؤلاء الرمز كأداة للتعبير عن أفكارهم ؛فظهر مصطلح الرمز الصوفي وهو استعمال أسلوب التلميح بدل التصريح وذلك خوفا من السلطة سياسية كانت أو دينية إضافة إلى الوظيفة التي يقوم بها من توازن نفسي[1]، واستعمالهم للرمز يعد ميزة مهمة في مذهبهم، وهنا نجد الرمز بنوعيه، الأول يعرف بالمصطلحات الصوفية هنا خاصة بهذا المذهب. مثل: الحب الإلهي، الإلحاد، الحلول، العشق إلى غير ذلك من المصطلحات التي تنم عن هذا الاتجاه. أما الرمز الثاني هو استعماله لرموز لا يستطيع فهمها إلا من دخل في التجربة الصوفية والروحية بحد ذات[2].

نجد على سبيل المثال رمز الخمرة في أشعار هؤلاء المتصوفة بكثرة، فالخمرة هي رمز إلى المعرفة وأحيانا رمز إلى الحب الإلهي وإلى الذات الإلهية، والحب الإلهي هو الباعث إلى السكر المعنوي وأحوال الوجد والغيبة بالواردات القوية نأخذ مثال قول التلمساني:

وَبِخَمرَةِ المَعْنَى المُنَزَهِ سُكْرُهَا عَنْ كُلِ طَافِحَة الحبَابِ إلى الفمِ[3]

وله عدة أبيات؛ يتحدث فيها بنفس الأسلوب والطابع الفني حول الخمرة ؛ التي تعني عنده الذات الإلهية أو بمعنى آخر " المعرفة الإلهية".

---

[1] هيفرو محمد علي ديركي، جمالية الرمز الصوفي، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ،دمشق، ط1،2009، ص 57.

[2] عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفي، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1998 ص 340.

[3] التلمساني، تح: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1، 1993، ص 219.

فيقول:

لا تُنْكِرُوا بَعْدَ صَحْوِي فَرطِ اسْكارِي وَبَعْدَ مَسْجِدِ نَسْكِي حَانَ خِـــمارِ

فصَبِحْ وَصلِي تُبْدِي فِي الدُجَى طَلَبِي وَالصُبْحِ بِحَمْدِي عِنْدَ الدُجَى السَارِي

فَلَا تَلُمْنِـــي ولُمْ عَيْنَيْكَ إنَهُـــمَا خَانَاكَ فِي حُكْمِ إدْرَاكِي وَ إبْصَارِي[1]

يصرح هذا الشاعر بأنه يتأرجح بين حالتين متناقضتين؛ الأولى هي أنه يكون صاحيا والثانية هي عكس ذلك أي شارد الذهن، وهذا جراء سكره بالخمرة، ثم يقول للذي يلومه: لا تلمني لأنك لم تر ما أراه ولم توقن بما أوقن به، فاللوم الصحيح هو اللوم على الشخص الذي لم يستطع رؤية الحقيقة و يرى ما يراه هو.

إضافة إلى رمز الخمرة ،نجد رمز المرأة حاضر وبقوة في أشعار الصوفيين وهم يرمزون به دائما إلى الذات الإلهية والتغزل بها، نذكر بيت التلمساني الذي يقول فيه:

لَهُ مِنْ هَوَى لَيْلَى مُمِيْتٌ وَبَاعِثٌ وَدُونَ خَبَاهَا مَوْقِفٌ وَمَقَـــامُ

تَوَهَمْتُ قُدْمًا لَيـــلَى تَبـــرَعَتْ وَمِنْ دُونِهِمَا لِلنَّاظِرِينَ لِثَـــامُ[2]

إن التجربة الصوفية بصورة عامة تختلف من متصوف لآخر، فكل و تجربته الصوفية الخاصة به، لكنهم يشتركون في الخطوط العريضة التي ترسم درب المتصوين؛ كالعشق الإلهي مثلا.

[1] المرجع السابق ، ص 108.

[2] المرجع نفسه ، ص121.

وهذا ما صرح به ابن خلدون ؛عند حديثه عن التجربة الصوفية حيث قال: فكل واحد منهم عبّر عما وجد وينطق بحسب مقامه[1]وهذا بيان صريح حول الاختلاف الموجود بين المتصوفة في نظرتهم للواقع.

نستنتج أن التصوف "هو روح لمجموع حقائق الإسلام من عبادة وإيمان ويقين وعرفان[2]يهدف للوصول إلى المعرفة الحقة ومعرفة الذات الإلهية والحلول والاتحاد فيها. ونظرا لخوفهم من السلطة لجؤوا إلى استعمال الرمز (الخمرة، المرأة) والتستر وراءه.

مفهوم العشق :

أ/لغة:

تعد لفظة "عشق" عربية الأصل ونقلت هذه الأخيرة إلى عدة لغات من بينها الفارسية، التركية، والهندية،... ورد تعريف لكلمة عشق في عدة معاجم عربية ؛ نورد منها ما ذكر في معجم لسان العرب وهو " فرط الحب وقيل عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب، وامرأة عاشق وعاشقة، وعشق الشيء لا يفارقه"[3]. ولهذا المصطلح عدة مرادفات منها على سبيل المثال: الحب، الهيام، الشغف، الصبابة إلى غير ذلك من المصطلحات وكلها تصب في معنى واحد، هذا

[1] سالم عبد الرزاق، شعر التصوف في الأندلس، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، ط1، 2007 ص 24.

[2] علي أحمد عبد الهادي الخطيب، في رياض الأدب الصوفي، دار نهضة الشرق ،الإسكندرية، ط1، 2001، ص 8.

[3] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظورالإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م4، ص 504.

وقد عرف الفيروز أبادي لفظة عشق فقال:" تعشق أي بمعنى تكلف العشق وتعشق فلانة: عشقها"[1]

إضافة إلى المعجم الوسيط الذي لم يخل من تعريف لفظة عشق،الذي عرفها " بمعنى عشق الشيء بآخر أدخل أطرافه أحدهما بين أطراف الآخر"[2] ، ونلاحظ من خلال كل هذه التعاريف اللغوية الواردة في المعاجم تنطوي تحت معنى واحد ،والتعلق المفرط بالشيء زيادة عن الزوم، وتطلق هذه اللفظة على مرحلة عالية من الشعور والإحساس المرهف والمحبة والإعجاب بالشيء ، فهي تصف حالة وجدانية مفعمة بالعاطفة الزائدة إلى مسلك خطر يفضي بصاحبه إلى المعاناة، ويحل بذلك الحزن بدل السعادة وتحل الآلام بدل الآمال، لذا فإننا كثيرا ما نجد العشاق يعانون من ويلاته .

ب/اصطلاحا :

لا يختلف التعريف الاصطلاحي عن التعريف اللغوي لهذه اللفظة؛ فنجد ابن القيم يورد تعريفا للعشق في كتابه روضة المحبين، ونزهة المشتاقين حيث أعطى عدة مشتقات للفظة الحب من بينها نجد لفظة "العشق" قال فيها " أما العشق فهو أمير هذه الأسماء وآخيتها وقلما ولعت به العرب وكأنهم ستروا اسمه"[3]كما أوغل الحديث عن هذا المصطلح فيقول في الباب العاشر من الكتاب بعنوان " في ذكر حقيقة العشق وأوصافه وكلام الناس فيه أنه مرض وسواسي شبيه بالموليفوليا يجلبه المرء إلى نفسه يتسلط فكره على استحسان بعض الصور الشمائل وسببه

[1]محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط6، ص 909.

[2] معجم اللغة العربية القاهرة ، المعجم الوسيط ،ط4، 2004، ص 1218

[3]أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح: محمد غزير شمس، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز، دار علم الفوائد، ط1، 1431م ، ص 43.

النفساني: الاستحسان والفكر، وسببه البدني: ارتفاع بخار ردئ إلى الدماغ من مني محتقن ولذلك أكثر ما تعتري العزاب"[1]

تعتبر لفظة عشق سيدة أسماء الحب، تطلق هذه اللفظة على مرحلة عالية من الشعور بالحب يؤدي هذا الإفراط إلى الانتحار في النهاية ؛كقصة الأعرابي العاشق مع الأصمعي التي انتهت بانتحاره جراء عشقه لفتاة ومن ثم قال على إثرها الأصمعي المقولة المعروفة " ومن الحب ما قتل" فالحب أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة[2] فالعاشق هنا ينجذب إلى معشوقه ؛حتى يبلغ هذا الانجذاب إلى ذروته ؛ يفقد بذلك الشعور بالنفس والأنا ؛ فيفنى العاشق في معشوقه ، ليصل به الأمرإلى الإنتحار ؛فيدخل في ذلك في زمرة موتى العشاق ؛ من أمثال هؤلاء نجد المجنون- مجنون ليلى "قيس بن الملوح"*- الذي أراد أن يرمي بنفسه من أعلى الجبل؛ فتعلق به جماعة فقال لهم :

لَقَدْ هَمَّ قَيْسٌ أَنْ يَزُجَ بِنَفْسِه وَيَرْمِي بِهَا مِنْ ذَرْوَةِ الجَبَلِ الصَّعْبِ

فَلاَ عَرَفُوا أَنَّ الحُبَّ قَاتِلٌ لاَبِقَلْبِهِ مَا شَاءَ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ

أَنَاخَ هَوَى لَيْلَى بِهِ فَأَذابَهُ وَمَنْ ذَا يُطِيقُ الصَّبْرَ عَنْ مَحْمَلِ الحُبِ

فَيُسْقِيهِ كَأْسُ المَوتِ قَبْلَ أوَانِهِ وَيُورِدُهُ قَبْلَ المَمَاتِ إِلَى السَرْبِ[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 110.

[2] علي بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، مؤسسة هنداوي، ط1، 2016 ص 49.

*قيس بن الملوح: شاعر غزل عربي من المتيمين من أهل نجد لقب لهيامه في حب ليلى بـــ "المجنون" ولكنه لم يكن مجنونا ، ينشد أشعارا في الغزل و يأنس بالوحوش ،ويتغنى بحبه العذري ،توفي سنة 68ه الموافق لـــ688م .

[3] رجاء بن سلامة ،العشق و الكتابة قراءة في الموروث ،منشورات الجمل ،ط1،2003،ص382

ترك هذا الأخير أشعارا خالدة على مر التاريخ ، لا تزال متداولة على ألسن العشاق إلى يومنا هذا .

ويقول ابن الفارض في هذا الشأن:

هُوَ الحُبُ فَاسْلِمْ بِالحَشَا وَمَا الهَوَى سَهْلٌ فَمَا اخْتَارَهُ مُضْنِى بِه وَلَهُ عَقــْلُ

وَعِشْ خَالِيًا فَالحُبُ أَوَلُهُ عـــــــنًى وَأَوْسَطُهُ سَقَـــــــمٌ وَآخِرُهُ قَتْلٌ

وهنا يؤكد هو الآخر بأن الفرط في العشق ؛يؤدي إلى موت صاحبه وقد يؤدي به أيضا إلى العمى عن عيوب الشخص؛ مهما كانت ، سواء كانت صغيرة أم كبيرة .

و في هذا الشأن نجد جرير يتحدث عن نفس الفكرة قائلا:

فَلَسْتُ بَرَاءَ عَيْبٍ ذِي الودِّ كُــلِه وَلاَ بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتَ رَاضِيًا

فَعَيْنُ الرِضَّى عَنْ كُلِ عَيْبٍ كَلَيْلَةٍ وَلَكِنْ عَيْنُ السَّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَ ا[1]

لقد عرف كل من "أفلاطون" و"أرسطو" هذا المصطلح ؛فنجد أفلاطون عرفه بقوله " العشق حركة النفس الفارغة؛ أما أرسطو فعرفه فقال : العشق جهل عارض صادف قلبا فارغا لا شغل له من تجارة ولا صناعة " وكلا التعريفين يشيران إلى أن النفس المحبة تكون خاوية ولا ينشغل سوى بمعشوقه ونجد في مختصر إصلاحات الصوفية أن العشق هو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن الكريم بشدة الحب في قوله تعالى :<< وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ >> وقوله تعالى: << قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا >>أي أصبح حب يوسف على قلبها كالشغاف ؛"وهي الجلدة الرقيقة

[1] شمس الدين محمد بن أبي بكرابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2003 ص 99.

التي تحتوي على القلب ، فهي ظرف له محيطه وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحب غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق"[1].

هناك من يرى أن العشق لله جائز وهناك من يراه غير ذلك ، فلا يقال أنه يعشق ولا يقال أنه عشقه عبده، فصفة العشق هذه لا يمكن أن نلصقها بالذات الإلهية ؛ولكن الاتجاه الصوفي يرى عكس ذلك، فمن بين أهم الخصال التي يتسم بها هي عشقه للذات الإلهية والانحلال فيها"[2]

وهذه "سعاد الحكيم" في معجمها هي الأخرى تأخذ من مفاهيم لهذا ،وتورد تعاريف من المعاجم اللغوية وأخرى من القرآن الكريم تقول:" أما العشق فهو افراط المحبة أو المحبة المفرطة ...فإذا عمّ الإنسان بجملته ، أعماه عن كل شيئ سوى محبوبه، و سَرتْ تلك الحقيقة في جميع أجزاء بدنه وقواه وروحه، وجرت فيه مجرى الدم في عروقه و لحمه؛ كما أوردت تعريفا آخر لإبن عربي ،وهذا الأخير قسم الحب إلى: الحب الإلهي وهو حب الله لنا، وحبنا الله أيضا قد يطلق عليه أنه إلهي، والحب الروحاني: هو الذي يسعى به في مرضاة المحبوب لا يبقى له مع محبوبه فرض ولا إرادة ؛بل هو بحكم ما يراد به خاصة، والحب الطبيعي: هو الذي يطلب به نيل جميع أغراضه سواء سر ذلك المحبوب أم لم يسره[3].

نستخلص في الأخير على ضوء ما قدم من تعاريف؛ أن لفظة عشق عربية الأصل نقلت إلى عدة لغات وهي أسمى درجات الحب ؛وهي مسلك خطر وموطأ زلق وبحر لجي وعالم العشاق مليء بالآلام والآمال ومحفوف بالمخاطر

---

[1] هيغرو محمد علي ديركي، مختصراصلاحات الصوفية، دار التكوين للتأليف والترجمة، دمشق، 2008 ص 97.

[2] ينظر: ابن القيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص 22.

[3] سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ندرة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981، ص 304.

والأهوال[1]وهذا كله يأتي جراء التعلق المفرط بالشيء الذي يحب..ويؤدي هذا الأخير في الغالب إلى الانتحار.

5/ مفهوم العشق الالهي:

لا يختلف اثنان في أن مصطلح "العشق الإلهي" مصطلح صوفي بحت ،فهم الذين أخرجوا هذا المصطلح إلى الوجود وثبتوه في أشعارهم ويستدلون على قولهم هذا بآيات قرآنية تثبت وجهة نظرهم هذه، نأخذ على سبيل المثال قوله تعالى "فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُونَهُ"[2] وقوله تعالى: " إِنَّ اللهَ يُحِبُ التَوَابِينَ وَيُحِبُ المُتَطَهِرِينَ"[3]وقوله أيضا "وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ"[4]إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة "يحب".

وترجع نظرية المتصوفة في الحب الإلهي؛ واضعها الأول الحلاج (الحسين بن منصور .857م)[5]ولقد صرح في نظريته هذه؛ أن الله قد أحب ذاته وأعجب بها؛ لذلك خلق الله آدم ليرى حبه مجسدا في الواقع ويرى أن كثرة أسماء وصفات الله سبحانه وتعالى ؛ هي دليل على حب الله لنفسه ؛فأصبحت بذلك صورة آدم هي صورة للذات الإلهية؛ ناتجة عن حب الله لذاته وهذه النظرية جاءت شارحة للحديث القدسي الذي يقول الله فيه: " كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فيه عرفوني". ولم يخرج المتصوفة المسلمون أمثال ابن عربي، جلال الدين الرومي، والعطار عن هذا الإطار في العشق الإلهي[6].

---

[1] محمد بن ابراهيم الحمد، العشق، حقيقته، خطره، أسبابه، علاجه، سلسة رسائل إرشادية، ط1، 1422 ص3.

[2] سورة المائدة، الآية 54.

[3] سورة البقرة، الآية 222.

[4] سورة البقرة، الآية 195.

[5]هيغرو محمد علي ديركي، جمالية الرمز الصوفي، دار التكوين، دمشق، ط1، 2009 ص 223.

[6]المرجع نفسه، ص 228.

وفي المعجم الفلسفي لمراد وهبة يعرف حب الله بقوله " هو بهجة وليدة كمال معرفة الله شعر بها العارفون من المتصوفة والحب الخالص هو حب الله في ذاته بلا خوف وبلا أمل"[1]فالمريد لا ينتظر أجرا وجزاء من عند الله، فهو يحبه من دون أي مقابل.

ترجم هذا الحب الإلهي إلى أقوال وأشعار أنشدها الصوفية وتغنوا فيها بالذات الإلهية ؛ولم يصرحوا بها بل اتخذوا منها رمزا. وعلى ضوء هذا ظهر ما يسمى بالرمز الصوفي ؛وهو أمر مطلوب ويؤدي إلى النجاة وتعلقه بالخلق وهو مرفوض لأنه يؤدي إلى الهلاك، لذلك لجأ الصوفيون إلى الرمز لما في ذلك من خطر على حياتهم، فالسلطة السياسية تأتي كعائق في وجه الصوفي ليصرح بحبه للذات الإلهية وهذا ما وقع للعلاج الذي قتلوه ، حيث قاموا بقطع ذراعيه ورجليه ثم حرقوه ونثروا رماده وأثناء قيامهم بهذا الفعل أنشد هو أشهر أبياته الشعرية قائلا:

أَقْتُلُونِي يَا ثِقَـــاتِي إنَّ فِي قَتْلِـــي حَيَاتِي

وَمَمَاتِي فِـــي حَيَاتِي وَحَيَاتِي فِـــي مَمَاتِي

فَاقْتُلُونِي وَ احْرِقُونِي بِعِـــظَامِي الفَانِيَاتِ

وما يلاحظ على أشعار الصوفية هو أسلوبهم ' البسيط الذي يميل إلى التنسيق اللفظي[2]وهذا مما يجعل منه شعرا واضحا خاليا من التكلف و الغموض الذي نجده في أساليب بعض الشعراء.

[1] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط1، 2007 ، ص 264.

[2]ينظر: المرجع نفسه، ص 57.

ونجد أيضا في قضية العشق الإلهي "رابعة العدوية" التي أعلنت حبها لله ولقبت "بإمامة العاشقين والمحزونين "كما لقبت أيضا "بسيدة العشق الإلهي"، لها عدة أبيات شعرية في العشق الإلهي أشهرها قولها :

أُحِبُكَ حُبَيْنِ: حُبُ الهَوَى وَحَبٌ لِأَنَّكَ أَهْـــلٌ لِذَاكَا

فَأَمَا الذِي هُوَ حُبُ الهَوَى فَذِكْرٌ شُغِلْتُ بِهِ عَمَنْ سِوَاكَا

وَأَمَا الذِي أَنْتَ أَهْــلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ الحُجْبَ حَتَى أَرَاكَا

فَمَا الحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ الحَمْدُ فِـــي ذَا وَذَاكَ[1]

وإلى جانب "الحلاج" و"رابعة العدوية" نجد "ابن عربي" الذي أبدع هو الآخر في كتاباته عن العشق الإلهي . حيث نجده يهيم في حبه لله عز و جل فيقول : يا من تيمني بحبه وهيمني بين بعده و قربه تجليت فأبليت وعشقت فأرقت، وأعرضت فأمرضت، وأحللت وحرمت ... فيا ليتني لم أخلق ، جعلنا الله وإياكم ممن عشق فلحق ، وصبر فظفر [2]

لقب بسلطان العاشقين ، والشيخ الأكبر وتنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية . له عدة كتابات مشهورة من بينها : الفتوحات المكية ، فصوص الحكم، شجرة الكون ، وترجمان الأشواق. يشرح في هذا الأخير الكيفية التي لا تخرج بها صوره الخيالية عن صحيح الديانة المحمدية[3] وله عدة أقوال مأثورة ولعل من أبرزها قوله:الحب مقام إلهي ، وصف الحق تعالى به نفسه ويقول في مناجاة ربه:

[1] ينظر: عبد المنعم الحفني، رابعة العدوية ، دار الرشيد ، ط2، 1996، ص16.

[2] محمود محمود الغراب، الحب والمحبة الإلهية ، محي الدين ابن عربي، دمشق.1983.ص9.

[3] إدريس شاه ، الصوفيون ، ت : بيومي قنديل، الهيئة العامة لدار الكتب و الوثائق القومية ، ط2، 2015 ص 247.

إِلَهِي لَا تُؤَاخِــذْنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلِي

لاَ تَنْظُرْ إِلَى فِعْــلِي فَإِنِي سَيُء العَمَـــــلِ

وَمَالِي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِ يَا ثِقَتِـــي وَ يَا أَمَلِي[1]

ونخلص في الأخير؛ إلى أن أول من استعمل هذا المصطلح ؛هم أصحاب الاتجاه الصوفي الذين بالغوا في حبهم لله سبحانه و تعالى؛ و أصبح همهم الوحيد- العشق الإلهي – لأنه لا يوجد شيء أفضل من ذلك بالنسبة لهم (الله).

وكل هذا من دون مقابل ؛ فهم يصرحون بأن كل هذا العشق والهيام بالذات الإلهية؛ لا يرجون منه شيئا إضافة إلى أنه لا يوجد مكان لمحبة شيء آخر غير الله عز و جل أيا كان،"فالصوفي يبلغ في درجة عشقه هذه إلى درجة الاتحاد مع المطلق الله" [2].

ومن هنا فإن العاشق يذوب في الذات الإلهية ، ويبلغ في ذلك إلى أقصى درجات المعرفة ، وهذا لا يكون إلا عن طريق الحب الحقيقي . الذي هو -الحب- عبارة عن أحاسيس نستطيع القول أنها "مقدسة" لدى الصوفيين .

[1] محي الدين بن عربي، لوازم الحب الإلهي ، تح: موفق فوزي الجبر، دار معهد الطباعة، ط1، 1998 ص23.

[2] ينظر زكرياء إبراهيم ، مشكلة الحب ، مكتبة مصر،ط3،1969 ص130 .

6/أبرز أعلام الاتجاه الصوفي :

لكل مذهب رواد وأعلام ،يؤسسون له ويضعون قواعده ،ونجد أن المذهب الصوفي هو الآخر له مجموعة من الرواد الذين حملوا مشعله ،ورفعوا لواءه ،وشيدوا أركانه وقواعده ،ورفعوا الستار عن مذهبهم هذا بتأليف عدة كتب ؛ لا تزال محل دراسة ونقاش إلى يومنا هذا، ولعل من أبرز هؤلاء الأعلام الذين ذاع سيطهم في هذا المذهب نجد:

ابن عربي:

هو الامام أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري،المعروف بابن عربي ،[1] ولد في مرسيه بالأندلس في رمضان سنة 560ه-1165م أما وفاته فكانت بدمشق ليلة الجمعة 28 نوفمبر 638ه-1240م دفن بسفح جبل كاسيون بمقبرة خاصة بأسة محي الدين زكي [2]

ابن عربي هو واحد من أشهر الأعلام في التصوف الاسلامي، لقب بالشيخ الأكبر وهو رائد الطريقة الأكبرية ،وهي احدى طرق الصوفية .

أعطي له لقب الشيخ الأكبر، و ذلك نظرا لفكره الواسع و ثقافته ، قضى معظم حياته في الشرق ،حيث كانت الفلسفة بتعبير الدكتور أبو العلاء تكاد تمتزج بالهواء الذي يتنفس فيه كما تحدث عن فلسفته هذه في عدة كتب له تعد من بين أهم كتب التصوف من بينها "الفتوحات المكية"التي تحدث فيها عن الذات الإلهية ؛

[1]منصور بن فضيل كافي ،منهج ابن عربي في تفسير أحكام القرآن الكريم، دار الحامد للنشر و التوزيع ،الأردن ، ط1،2009،ص19.

[2]علي عبد الفتاح محمد عبده ،المعراج عند ابن عربي ،كتاب ناشرون ،القاهرة، ط1،2017،ص8.

فالله عند ابن عربي؛ هو الموجود ولا موجود على الحقيقة سواه وهو الموجود المطلق[1] .

تطرق ابن عربي أيضا إلى قضية كبرى من قضايا التصوف؛ وهي قضية الحب الإلهي و"نظريته في الحب الإلهي ؛ متفرعة عن مذهبه الفلسفي الصوفي العام الذي هو مذهب وحدة الوجود "،ولقد تحدث الدكتور أبو العلاء عفيفي عن قضية الحب الالهي في أطروحته للدكتوراه عند ابن عربي؛ ليثبت أن ابن عربي هو ممثل خالص لوحدة الوجود فصرح قائلا :"وحدة الوجود تتضح عند ابن عربي عندما يقول أن غاية الحب هو معرفة الحب و معرفة الحقيقة ،وأن حقيقة الحب تتطابق مع الذات الإلهية ، إن الحب ليس قيمة مجردة تضاف إلى الذات ،إنها ليست علاقة محب بمحبوب،وذلك هو الحب الحقيقي عندهم في الحب طرفا مفردا"[2].

يعتبر "ابن عربي" أول من تحدث عن قضية وحدة الوجود في التصوف"فالحقيقة الوجودية واحدة في جوهرها و ذاتها ،متكثرة بصفاتها وأسمائها لا تعدد فيها إلا بالاعتبارات و النسب و الإضافات ، إذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هي الحق ،وإذا نظرت إليها من حيث صفاتها قلت هي الخلق"ففي وجهة نظر ابن عربي أن الوجود لم يكن من عدم ؛ فالذات الإلهية أبرزت الأشياء من وجود علمي إلى وجود عيني .

[1] ينظر :يوسف زيدان ،الفكر الصوفي ،ص238.

[2] آنا ماري كيري،الأبعاد الصوفية، في الاسلام وتاريخ التصوف ،تر:محمد اسماعيل السيد،رضا حامد قطب منشورات الجمل ،بغداد، ط1، 2006 ص297 .

"وحدة الوجود هي في الأصل حال قبل أن تكون نظرية وأنها جزء لا يتجزأ من التجربة الصوفية"[1] ، ترى هذه النظرية أن الذات الإلهية و العالم شيء واحد لا انفصال بينهما .

ولقد اختلف الدارسون لشخصية "ابن عربي" حول فلسفته الصوفية "فبعضهم اعتبره عارفا وليا ، يتناسب دوره مع اسمه ،فهو محي الدين حقا،والبعض الآخر اعتبره كافرا ملحدا زنديقا ،مميتا للدين "[2] تضاربت الآراء حول شخصية ابن عربي الغامضة ؛فابن تيمية ينسب إليه قضية وحدة الوجود التي تؤمن بأن الله و الخلق وجهان لعملة واحدة؛ ثم يتناقض مع هذا الرأي، و يعترف بأن ابن عربي يفصل بين الله و الخلق،هذا إضافة إلى اختلاف الدارسين المحدثين؛ سواء كانوا مستشرقين أم باحثين عرب ؛ فكل ووجهة نظره نحو هذه الشخصية المثيرة للجدل.

لن نستطيع الوقوف على كل جزئية من حياة ابن عربي؛ فحياته زاخرة و الأخبار عنه لا تكاد تحصى؛ وقد استفاضت كتب التراجم في الحديث عنه ،فلم يكن "ابن عربي" صوفيا بل إنه كان كغيره من الشباب، حتى مرض ذات يوم مرضا شديدا ،و بينما هو في تلك الحالة المرضية التي أطاحت به أرضا رأى في المنام مجموعة من الأرواح الشريرة محيطة به،تريد فتكه و القضاء عليه ،وبغتة جاء رجل حسن الشكل جميل المظهر ،قويا ،مشرق الوجه ،أبعد عنه تلك القوى الشريرة .ولما سأله من أنت قال الرجل: أنا سورة يس ، ومنذ ذلك الحين أصبح

[1] نهاد خياطة ، دراسة في التجربة الصوفية ،دار المعرفة ،ط1 ،1414ه ،1994م ص14.

[2] نصر حامد أو زيد،التأويل،دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي، دار الوحدة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1938، ص20.

ابن عربي متصوفا واعتزل الدنيا وما فيها ،وجاهد نفسه عن ملذات الدنيا لنيل رضى الله [1] .

يعتبر الشيخ الأكبر "محي الدين ابن عربي" من بين المؤسسين للمذهب الصوفي ،وأول من تحدث عن قضية وحدة الوجود ؛إضافة إلى حديثه عن الحب الإلهي، وعدة قضايا متعلقة بالمذهب الصوفي.وهذا دون أن ننسى حديثه عن الرسول "صلى الله عليه وسلم" و يندرج حديثه عن الرسول ؛ضمن ما يعرف ب"القضية المحمدية"حيث"ينظر إلى الرسول على أنه الإنسان الكامل "[2] وهذا هو الحال بالنسبة لمعظم الصوفيين.

ابن عربي هو صاحب أعمق نفوذ ميتافيزيقي روحي ، على كل من العلمين المسيحي و الإسلامي على حد سواء ،حيث أنه أثر على عدة أدباء أجانب ومسلمين ساروا كلهم على نهجه و تبنوا أفكاره.

ابن الفارض:

أبو حفص عمر بن أبي الحسن الملقب بابن الفارض؛ من كبار صوفية الإسلام الذين عبروا عن النظرية الصوفية بأسلوب شعري .

ولد ابن الفارض بالقاهرة سنة 586ه،وتوفي بها يوم الثلاثاء2من جمادى الأولى سنه 632ه[3] ،هو واحد من كبار الصوفية لقب ب"سلطان العاشقين " أشتهر بالتعبير عن حبه للذات الإلهية ؛بطريقة شعرية مميزة ، وقيل أن الفارض بكسر

1ينظر : علي عبد الفتاح محمد عبده، المعراج عند ابن عربي ،ص24.

[2]ينظر ،ادريس شاه ،الصوفيون ،ص247.

[3]يوسف زيدان ،الفكر الصوفي ،ص241.

الراء هو الذي يثبت الفروض للنساء على الرجال ، وأن أبا الشاعر كان يقوم بإثبات هذه الفروض؛ فغلب عليه التلقيب بالفارض و عرف بابن الفارض[1].

قام ابن الفارض بعدة رحلات في حياته ،قضاها زاهدا متعبدا لله سبحانه وتعالى ، وكان يسمي هذه الرحلات بالسياحات،وتعني السياحات عند الصوفية ، الخروج إلى أماكن نائية و العودة منها مرة أخرى إلى المدينة ، فهي بمثابة الرحلات التي تقصد بها تهذيب النفس ، وتكميل الروح بعيدا عن ضجيج المجتمع[2].

امتاز ابن "الفارض" فوق كونه شاعرا ؛أنه كان صوفيا وكان اجتماع هذين المزاجين فيه أكثر في تكوين شخصية عجيبة؛ قد لا نجد لها نظيرا إلا في متصوفة شعراء الفرس أمثال :عبد الرحمن الجامي و جلال الدين الرومي [3] و الامتياز بصفة التصوف و إنشاد الشعر؛ يجعل من الشخص ذا مكانة مرموقة مقارنة بغيره.

عبرت قصائد ابن الفارض عن الصوفية وأحوالهم ،كما حفلت قصيدته التائية الكبرى و الخمرية بالكثير من الأفكار الصوفية ،التي ظهرت في الحقبة التي عاش فيها ، وتعد هاتان القصيدتان التي كتبهما ابن الفارض في حديثه عن الذات الإلهية وعشقه لها من أروع ما قيل في الشعر الصوفي على الإطلاق، وأكثرها تعبيرا عن التصوف الاسلامي ويتحدث عن الجمال الإلهي في تائيته المشهورة قائلا:

وَصَرِّحْ بِإِطْلاَقِ الجَمَالِ وَلاَ تَقُلْ بِتَقْيِيدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِيْنَةٍ

[1] ينظر:منحمد مصطفى حلمي إبن الفارض و الحب الإلهي ،دار المعارف، القاهرة،ط2،ص29.

[2] أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل لى التصوف الإسلامي ،ص215.

[3] ينظر أبو العلاء عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ،ص216.

انتهج ابن الفارض في شعره من حيث الشكل ؛ الطابع القديم الذي لم يفرط فيه "بعمود الشعر التقليدي"، أما من ناحية المضمون فقد غلب على شعره طابع التصوف، وهذا ما جعله يتميز بشخصية صوفية شاعرة فريدة من نوعها.

ولقب بسلطان العاشقين وذلك لقوله:

يُحْشَرُ العَاشِقُونَ تَحْتَ لِوَائِي وَجَمِيعُ المِلَاحِ تَحْتَ لِوَاكَا

ومن أشهر أبياته الشعرية التي تتحدث عن الذات الإلهية ؛وأنه كل ما في الكون قوله:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مَـــــرَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَــرُمْ

لَهَا البَدْرُ كَأْسٌ وَهِي شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلالٌ وَكَمْ يَبْدُوا إِذَا مَا مُزِجَتْ نَجْمُ

وَ لَولاَ شَذَاهَا مَا اهْــتَدَيتُ لِحَانِهَا وَلَولاَ سِنَاهَا مَا تَصَـــــورَها الوَهْمُ

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَهْرُ غَيْرَ حَــشاشَةٍ كَأَنَ خَفَاها فِي صُدورِ النُهَـــــى كَتْمُ

وَ قَامَتْ بِها الأَشْيَاء ثُم لِحِكْمَة بِها احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِ مَنْ لاَ لَهُ فَهْمُ[1]

برز موضوع الحب الإلهي بصورة جديدة عند الصوفي؛ تميز عن غيره من المتصوفة الذين سبقوه و كان هو الصوفي العربي الوحيد الذي انطلقت روحه جياشة بالتعبير عن الحب الإلهي من خلال النظم الشعري .

يخاطب ابن الفارض السابقين و اللاحقين عليه؛ موجها لهم فكرة أنه هو القدوة التي يجب أن يقتدوا بها ، وأن ينهلوا من علمه ؛ لأنه يعتبر نفسه مقربا الى

[1]ينظر: محمد علي أبو الحسيني، سلطان العاشقين إبن الفارض وخصائصه الشعرية ، مجلة إضاءات نقدية ،ع3، أيلول،2011،ص26.

الله سبحانه وتعالى ،وأنه رآه ،وهذه الحادثة التي وقعت معه لم يسبق وأن حصلت مع غيره ، ولم يليه أحد ،فيقول:

قُـــــلْ لِلَذِين تَقَدمُوا قَبْلـــي وَمِن بَعَدِي وَمَن أَضْحَى لِأَشْجَانِي يَرَى

عَنِي خُذُوا وَبِي اقْتَدُوا وَلِي اسْمَعُوا وَتَحَدَثُوا بِصَبَابَتِي بَيْنَ الوَرَى

وهذا تعبير صريح لابن الفارض للسابقين له و اللاحقين عليه ، أنه هو الشخص المثالي الذي يجب أن يحتذى به ؛وأنه هو الوحيد الذي عليهم أن يسيروا على خطاه[1]

إن ابن الفارض ؛كغيره من المتصوفة الدراويش الذين لا يبغون وراء كل هذا الحب للذات الإلهية جزاء ولا شكورا، ولا يرجون مقابلا دنيويا .

أنشد ابن الفارض عدّة قصائد في الحب الإلهي –كما ذكرنا سابقا- نسجه بطابع غزلي ونجده أنشده بطابع خمري تارة أخرى ، ففي الغزل يقول :

فَالوَجْدُ بَاقٍ وَ الوِصَالُ مِمَا طَـــلَى وَ الصَبْرُ فَانٍ وَ اللِقاءِ مَســـوفِي

لَمْ أَخَلْ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَلا تَضَعْ سَهَري بِتَشْيِيعِ الخَيَالِ المُجْرَفِ

في هذه القصيدة ؛ يتغزل "ابن الفارض" بالذات الإلهية ؛ ولكن المستمع لهذه الأبيات ؛لن يدرك أن هذا الخطاب ،موجه للذات الإلهية لأن هذا لا يليق بمقامها ، فهذا الغزل يمكن أخذه على أنه إلهي بقدر ما هو إنساني .

أما في ما يخص قصائده الخمرية ؛ فقد برع في كتابة "الخمرية" إلى جانب "التائية الكبرى" يقول:

[1] ينظر : فاتح عساف ، الحب الإلهي عند الصوفية " حب بلا كراهية " جامعة فيلادلفيا .

سَقَتْنِي حُمَيَّا الحُبِّ رَاحَةَ مُقْـــلَتِي وَكَأسِي مُحَيّا مَنْ عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ

فَأَوْهَمْتُ صَحْبِي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِم بِه سُرَّسِرِّي فِي انْتِشَائِي بِنَظْــرَةِ

وَ بِالحَدَقِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ قَدَحِي وَمِن شَمَــائِلِهَا لَا مِنْ شُمُولِي نَشْــوَتِي[1]

اشتهر ابن الفارض" ببيت شعري يرمز إلى الذات الإلهية ؛ ملبسا إياه رمز الخمرة ،فينشد قائلا:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مَدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرُم

لقد كان حب "ابن الفارض" لله ثمرة معاناة حقيقية ، يصرح بذلك قائلا:

لاَ يَعْرِفُ الشَوقَ إِلاَّ مَنْ يُكَابِدُهُ وَلاَ الصَبَابَة إلاَ مَنْ يُعَانِيــهَا

والحب الإلهي ليس رأينا شطحا أو خيالا ،وإنما هو ثمرة حقيقية للإيمان القوي و التدين العميق و ينعكس أثره على حياة الفرد تهذيبا وعلى حياة المجتمع ارتقاء[2] ، و لا يجب علينا أن نقول أن الصوفيين إبتدعوا فكرة الحب الإلهي ،و أوغلوا في الحديث فيها هباءا ؛بل إنهم يستدلون على هذا الحب بآيات قرآنية ،تثبت صحة موقفهم هذا. و لقد ذكرنا أمثلة سابقة تؤكد هذا.

لقد أمضى ابن الفارض أربعين سنة في قول الشعر، وهي مدة طويلة قضاها في الزهد و التصوف والإيغال في ذكر الذات الإلهية و التغني بجمالها ، والحلول والاتحاد فيها .

---

[1] داود بن محمد محمود بن القصيري ،شرح تائية ابن الفارض الكبرى ،تح: أحمد فريد المزيدي ،ط1،2004،ص6.

[2] أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل الى التصوف الإسلامي،ص217.

جلال الدين الرومي :

هو شاعر و علم صوفي ، من أبرر أعلام التصوف الفلسفي في التاريخ الإسلامي، و أكثرهم تأثيرا على مر العصور ، اسمه الكامل محمد بن محمد بن حسين الخطيبي البلخي ، المعروف باسم جلال الدين الرومي .

ولد في إقليم باكتريا في آسيا الصغرى قبل نشأة الامبراطورية العثمانية ، يوم 6 ربيع الأول سنة 604 ه الموافق ل 30 سبتمبر 1207م في مدينة بلخ لأسرة علمية ، فقد كان والده أحد علماء المذهب الفقهي الحنفي ، و قد لقب لمكانته العلمية و جراءته في قول الحق ب " سلطان العارفين "[1] .

درس جلال الدين الرومي العلوم الشرعية على يد والده ،أولا ثم على يد تلميذ لوالده يدعى "برهان الدين " محقق الترميذي ، و بعد سفره إلى الشام لطلب العلم سنة 360ه، تتلمذ على يد عدد من الشيوخ الذين أخذ عنهم بعض العلوم الشرعية و العقلية ، و مبادئ علم التصوف .

توفي والد جلال بقونية سنة 628ه فأخذ هو على عاتقه القيام بمسؤولياته في الفتوى و الوعظ ، ثم رأى أن يستزيد من العلوم فرحل سنة 630ه إلى الشام ، و قضى أعوام موزعة بين حلب و دمشق حيث يزود فيهما بحظ وافر من العلوم و المعارف، ثم عاد إلى مدينته قونية بعد أن أقر شيوخه بالنبوغ و الإطلاع الواسع بفضل ثقافته العربية و الفارسية المتنوعة ، وفي قونية اشتغل بالتدريس، و بلغ عندهم مرتبة من سعة العلوم و المعارف دعي بسببها " سلطان العارفين " .

[1] عناية الله أبلاغ الأفغاني ، جلال الدين الرومي بين الصوفية و علماء الكلام ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1987م ، ص32.

تعرف على شيخ فارسي؛ يدعى **"شمس الدين التبريزي"** ؛فكان لقاؤه به نقطة تحول في مسار حياته ، ولحظة ميل لفكره و سلوكه ؛إذ دخل على يديه في زمرة أرباب التصوف فبدأ على إثر ذلك بقول الشعر، و اتجه إلى الحياة الروحية الصوفية .

لقد كان **"التبريزي"** أكثر الشيوخ تأثيرا على الرومي في حياته الفكرية الصوفية ،و كان هو السبب الرئيسي في ولوج الرومي إلى هذا العالم الخاص[1] .

دخل تاريخ التصوف العالمي من أوسع أبوابه ؛ باعتباره أحد أهم المتصوفين العظام في التاريخ الإسلامي ، ونشأت عن تراثه في تركيا طريقة صوفية عرفت باسم " المولوية " ، و اشتهرت بطقوس الرقص الدائري حول النفس ، و جاء اسمها اشتقاقا من اللقب الذي أطلقه الأتراك عليه ،و هو **"مولانا جلال الدين الرومي"** أو" مولانا " اختصارا ، ولقد انتشرت هذه الطريقة لاحقا في مختلف بقاع العالم .

أخذ فيها الموسيقى المعروفة من الصلاة الصوفية، و مزجها مع أصوات المزمار ، العود ، الدف، الطبول الشرق أوسطية ، و الموسيقى الصوفية تتبع صيغا جامدة مع ألحان مرتجاة ،و كلمات مأخوذة من الشعر الأندلسي ، المكتوب قبل ألف عام ، حين تغلب المسلمون على إسبانيا و فتحها ، وهذه الموسيقى تتطلب مقدارا من التدريب لتفهم ، لأنه ليس معنى الكلمات فقط هو المهم ، بل أجمل ما في الأمر هو جمال الأسلوب الموسيقي الذي يختلف عن الموسيقى الغربية .[2]

[1] المرجع السابق ، ص73.

[2] جوليان ، جلال الدين" الموسيقى الصوفية تحرر الإنسان و تسمو به "، مجلة الرأي الثقافي 3/11/2014.

أسس الرومي المذهب **المثنوي** في الشعر؛ الذي كان أبرز تجلياته ، ديوانه الشعري المعروف بـــــ**"مثنوي معنوي "** ؛ و الموصوف بأنه أكبر مرجع تصوفي باللغة الفارسية ؛ فقد كتب فيه مئات الأبيات من الشعر التي تتحدث عن العشق الإلهي ، من منظور صوفي و عن قضايا عديدة في الفلسفة .

ترك "الرومي" عدة مؤلفات ما بين الشعر و النثر، تناول فيها العديد من المسائل الصوفية ، فمن منظوماته " ديوان شمس الدين التبريزي" الذي يحتوي على ألف بيت ؛سجل فيها ذكرياته مع أستاذه "التبريزي "، و الرباعيات التي بلغ عددها 1959 رباعية ، وديوان المثنوي " الذي يتضمن 26 ألف بيت شعري ؛ تظهر من خلالها شخصيته الفكرية الصوفية ، استغرق 43 سنة في كتابته ، يقول في أحد كتبه ،أنه يضم ثروة هائلة من الشعر الباعث على البهجة ؛ و لكن يتعين على قرائه أن يتلمسوا طريقهم خلال الأمثال و الحكايات و الحوارات ،و تمييز النصوص القرآنية و النوادر، ومن المؤلفات النثرية كتل "فيه ما فيه "، يحتوي على دروس كان يلقيها في مجالسه العلمية ،و إجابات عن أسئلة وجهت إليه في مناسبات مختلفة ،وما كتبه عن رسائله إلى معارفه و مريديه .

يقرر الرومي الطريقة التي يرمز بها للدروب الدينية المختلفة ؛ بالنسبة إلى الصوفي عندما يقول: إن درب السيد المسيح؛ كان مكافحة العزلة و التغلب على الشهوات ، أما درب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فكان العيش داخل نطاق مجتمع بشري عادي ، وفي هذا الصدد يقول الرومي : " سر على درب محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولكن إذا لم تستطع فانهج نهج المسيح ، و الرومي لا يدعو أحدا بأي حال من الأحوال إلى اعتناق هذه الديانة ، عوضا عن تلك، ولكنه يشير من خلال قوله هذا إلى نوعين من الطرق المؤدية إلى الفهم الصوفي [1] .

[1] ينظر : إدريس شاه ، الصوفيون ، ص 225.

توفي "جلال الدين الرومي" في قونية يوم 5 جمادى الثانية سنة 672 ه الموافق لـــ 17 ديسمبر 1273 م متأثرا بحمى أصابته [1].

رابعة العدوية:

لا يخلو المذهب الصوفي من الجنس النسوي ، فنجد عدة أسماء على قائمة المذهب الصوفي؛ ولعل أن من برز نجمها و ذاع صيتها في هذا المذهب؛ نجد وبدون منازع "رابعة العدوية" على رأس القائمة التي اشتهرت بأشعارها و حبها لله سبحانه وتعالى .

هي رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ،و لقبها ابن خلكان بأم الخير، وذكر أنها مولاة آل عتيك قضت معظم حياتها بالبصرة، وكأنها مسجونة إلى أن ماتت بها ؛ في سن لا يقل عن 80 سنة ؛ وكان ذلك عام 185ه[2] .

عاشت رابعة في القرن 2ه و توفيت في أواخر هذا القرن ، أمضت معظم عمرها وهي تبكي وتحزن وتأسى من الدنيا فتقول : "مالي حاجة بالدنيا "وهذا دليل قاطع على عدم اكتراثها بالدنيا وما فيها .

كانت منذ طفولتها تخشى الله ،و تخاف الموت والنار ،و يكبر معها خوفها وخشيتها ويستحيلان إلى هيبة من الله ؛حياء و تقربا أكثر ؛ فتترك الدنيا في اقترابها ، فطريق الدنيا و طريق الله متعاكسان[3] وهي اختارت الطريق المؤدية إلى الله، ولاذت إليه وعكفت عن كل ما هو دنيوي وما فيه من شهوات و ذلك من خلال مجاهدة النفس ، ولم تحد رابعة العدوية على موقفها الواحد كغيرها من

---

[1] ينظر : جلال الدين الرومي سلطان العارفين و زعيم المولوية ، موسوعة الجزيرة فضاء من المعرفة الرقمية .

[2] ماسينيون و مصطفى عبد الرزاق، التصوف ،دار الكتاب اللبناني ، لبنان، ط1، 1984،ص113.

[3] عبد المنعم حنفي ، رابعة العدوية إمامة العاشقين و المحزونين ،دار الرشاد ،القاهرة ،ط2، دت،ص152.

الصوفيين ،وهو حب الله من دون مقابل و جزاء؛ فتقول : إلهي إن كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقني بها و إن كنت أعبدك يا الهي من أجل محبتك فلا تحرمني من جمالك الأزلي "وتقول أيضا:"حبك لله لا يترك مجالا في قلبي لحب مخلوق "[1] ،و لدرجة الحب التي بلغتها رابعة ؛جعلت قلبها و كل روحها لله عز وجل، ولم تترك مجالا ؛ولو ضئيلا لمحبة شيء آخر غير الله مهما كان ، وهذا ليس لأنه بيده النار و الجنة التي يكافئ بها عباده يوم القيامة ؛ وإنما لحب ذاته.

فتطورت الحياة الروحية للصوفية ،وبلغت درجة التجرد من كل ما هو حسي؛ "واكب هذا استغراقها الكامل في الله حيث يمكن القول أنها ماتت من الدنيا ،فقد ذكر أن رابعة كانت في الصلاة فسجدت على البوارى ؛ فدخلت قطعة قصب في عينها، فلم تشعر بها حتى انصرفت من الصلاة "[2] وهذه الحال التي آلت إليها رابعة ؛هي تعبير واضح عن موت حواسها ،و تعلقها بالذات الإلهية فحسب؛ ولدرجة حبها لله ؛ لقبت هي الأخرى بـــ"شهيدة العشق الإلهي"و"سلطانة المحزونين " لأنها كانت السباقة إلى وضع الحب و الحزن في هيكل التصوف ، تصدق في محبتها وحزنها فتقول:

إنِّي جَعَلْتُكَ فِي الفُؤادِي مُحْدَثِي وَأَبْعَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَجِسْمِي مِنِي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِـــسٌ وَحَبِيْبُ قَلْبِي فِي الفُؤَادِ جَلِيسِي [3]

ومن الظواهر التي تسترعي النظر في حياة رابعة العدوية ؛ ما عرف من دوام حزنها و بكائها ، قال الشعراني: "كانت رضي الله عنها كثيرة البكاء و

---

[1] أنور الرفاعي الاسلام في حضارته و نظمه ،دار الفكر دمشق ،1982،ط1،ص702.

[2] ينظر: عبد البرحمن بدوي ، شهيدة العشق الالهي رابعة العدوية،مكتبة النهضة، القاهرة، ط2،1962م،ص77.

[3] بوداوية بلمبا، التصوف في بلاد المغرب العربي ، دار القدس العربي، ط1،1009م،ص135.

الحزن، و كانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زمانا ،وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها "[1] ، وهذا يدل بقوة على قمة الأسى و الحزن الذي وصلت إليه روح رابعة العدوية ، ورغم كل ما تقوم به هذه المتصوفة ؛ إلا أنها تقول:ما ظهر من أعمالي لا أعده شيئا.

من أشهر أبيات رابعة في العشق الإلهي قولها:

أُحِبُّكَ حُبَينِ حُـــبُّ الهَوَى وَحُّب لِأَنَكَ أَهـــــــلٌ لِذَاكَ

فَأَمَّا الذِي هُـــوَ حُبُّ الهَوَى فَشَغَلَنِي بِذكْـــرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ

وَأَمَّا الذِي أَنْتَ أَهْـــــلٌ لَهُ فَكَشــْفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَى أَرَاكَ

فَلاَ الحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ الحَمْـــــدُ فِي ذَا وَ ذَاكَ

في هذه الأبيات؛ تقسم رابعة العدوية الحب إلى صنفين : حب الهوى وهو حب ناقص و حب خالص و هو الحب الأسمى ، الموجه الى الله، و تعترف بأنها لن تهدأ نار العشق في قلبها ؛حتى ترى الله ،وهذا طبعا ليس في الدنيا ؛ لأنه لم يسبق لأحد وأن حدث معه هذا ،حتى من الأنبياء و الرسل ، بل تقصد رؤيته في الدار الآخرة[2] .

رابعة العدوية واحدة من كبار المتصوفة ؛التي تمثل الجنس النسوي ، فالحب الإلهي لا يقتصر على الرجال دون النساء ، فهناك عدة متصوفات ، لكن رابعة العدوية، هي التي كان لها النصيب الأوفر من الشهرة عن غيرها من المتصوفات ، تركت رابعة عدة أشعار لا زال عطرها يعبق إلى يومنا هذا.

[1] ماسينيون و مصطفى عبد الرزاق ، التصوف،ص54.

[2] ينظر : عبد الرحمن بدوي،شهيدة العشق الالهي ،ص110.

الفصل الثاني

ملامح العشق في الرواية

1/تجلي تيمة العشق في رواية حارس العش الإلهي

أ/ العشق الإلهي .

ب/ العشق الإنساني.

2/الحقل الدلالي للفظة "عشق".

3/دلالة قواعد العشق الأربعين في رواية حارس العشق الإلهي.

1/تجلي تيمة العشق في رواية "حارس العشق الإلهي":

تكتنـــز رواية العشق الإلهي بين ثناياها ، تيمة أضاءت صفحاتها ، و سّجلت حضورا قويا ، لا يمكن إنكاره ، هذه التيمة التي استحضرها الروائي من قاموس الصوفيين ، مثلت موضوعا هاما و مشوقا ، و يستدعي بالضرورة دراسة أجزائه و مختلف تفاصيله ، التي من خلالها انبنت أحداث الرواية .

و تتمثل هذه التيمة ؛في "مصطلح العشق " ؛ الذي هو ذروة المحبة التي تجمع بين المحب و محبوبه ، ومعناه "اتحاد ذات المحبوب بذات المحب اتحادا يوجب غفلة المحب شغلا بشهود محبوبه في ذاته بذاته ، ولذا قيل أنه أقصى مقامات الذهول " [1] ؛ فالعشق حالة شعورية تنبض بالصدق و الإخلاص ، و تسمو بالعاشق ؛ بحيث يفقد إحساسه و إدراكه لكل الأشياء التي من حوله ؛ عدا معشوقه الذي ينشغل به وله .

وفي الرواية التي بين أيدينا " حارس العشق الإلهي " لأدهم العبودي "؛ يمكن التمييز بين نوعين من العشق : العشق الإلهي و العشق الإنساني .

أ/العشق الإلهي :

يتخذ الصوفي من العشق الإلهي سبيلا يوصله إلى معرفة الله ؛ فعندما يتعلق فؤاده بمعشوقه ،و يتأمل بديع صنعه و عجائب مخلوقاته ، يدرك كنه و حقيقة المعرفة الخالصة ، التي لا تشوبها شائبة ، بحيث يوحد الله و يفنى فيه ، فالله جل في علاه " إما أن نحبه لأنفسنا أو نحبه للمجموع، أو نحبه لواحد مما ذكرناه ... فإذا أحببت الأشياء من أجله و عاديت الأشياء من أجله ، فهذا معنى حبنا له"[2] .

---

[1] عبد المنعم الحفني ، معجم المصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ،بيروت ،لبنان ،ط2 ، 1407ه .1987م ،ص 184.

[2] محمود محمود الغراب ، الحب و المحبة الإلهية من كلام الشيخ الأكبر :محي الدين ابن عربي ،ص73.

يتطلع العاشق لبلوغ أسمى مراتب العشق لخالقه، و يتجسد بذلك حب الخالق له أيضا ، من خلال تخلص العبد من كل ملذات الدنيا و متاعها ، و التفرغ لعبادة الله وحده ، ويتلمس حب الله له ؛من خلال ما يمنحه من هبات أو ابتلاءات ، فيتقبلها العبد منه بصدر رحب وقلب شكور ، دونما تبرم أو احتجاج ، فيتبوأ بذلك مكانة سامية من العشق الإلهي .

1/شاهين :

وفي رواية "حارس العشق الإلهي " لأدهم العبودي " ، برزت شخصيات غاصت في مدارج العشق الإلهي ، بحيث نجد منذ مطلع الرواية ما يثبت قولنا ، و أول شخصية تجلت تيمة العشق الإلهي في ثناياها ؛ هي شخصية "شاهين " ؛ الرجل الضرير ؛ مريد "محمد بن ملك داد التبريزي " ؛ إذ تشبع بأفكاره و تشرب من نور بصيرته ، تبنى من هذا الدرويش عشق الذات الإلهية ، و تأمل بديع صنعها ، بعدما كان يتخبط في دجى هذه الدنيا الدامس ؛باحثا عن خالقه ، ووصل به الأمر أن كان يحاول تذوق طعم الله؛ وسماع صوته ، فيقول : " كنت أقضم ثمرات الفاكهة ، وأظل ألعق بلساني محاولا – دون جدوى – تذوق طعم الله في فمي ، أو ألصق أذني بشقق الجدران ؛ أتصنت للصفير الخافت القادم من أعماقها ، ولم أسمع صوت الله [1] .

لم يمنع العمى "شاهين " من السعي وراء معرفة الله ، وراح ينقب عنه في مخلوقاته ، و ساعده في ذلك "التبريزي" ؛ كي يتأمل بعمق في كائنات الكون الفسيح .

و كانت الأسئلة ترافق رحلته في البحث عن مبتغاه ، و كان مأخوذا بالتبريزي ؛ الذي تتلمذ على يديه ، وعرف معنى أبجديات قواعد العشق الإلهي ؛ " فهو أعظم من سكنه عشق الله ، و أعظم من تحدث عنه ، ظل يؤمن أن الكون بأسره لم يخلق إلا كيما

[1] أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي "التاريخ السري لمولانا جلال الدين الرومي " ، المصري للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط15 ، ص22.

يستكشفه الإنسان ، ببصره قبل عقله ، كل الأدوات متاحة إنما أتيحت للأرواح الباحثة ، مهما طال البحث و شق ، فنهايته وصول ، و كل الطرق لا بد ستؤدي إلى مصب وحيد ، وهذا إن آمنا بالطريق قبل المصير[1] .

وفي ضوء هذه المعاني العميقة اهتدى" شاهين " من خلالها إلى دربه ، و في توالد الأسئلة الكثيرة وجد ملاذه فيها ، فراح يتساءل : "حرمني من النظر و صبرت ولكنه حرمني من العشق ، ألا ترى أن الله يقسو علينا كثيرا ، و لماذا يتعس الله بعضنا و يسعد البعض الآخر ؟ لماذا يمنح هذا البصر و يمنح ذاك العشق ؟ ... حاولت السفر سعيا إليه وما اهتديت "[2] .

وعلى ضوء هذه الأسئلة المطروحة ؛ يقوم **"التبريزي"** بالإجابة عليها ليقنع "شاهين " بالصبر و عدم الضجر من واقعه ؛ فمهما بدت الحياة قاسية في وجه الشخص ؛ فلا بد عليه بالصبر والتحمل ، لأن الصبر صفة راسخة في روح الصوفي ، الذي يؤمن بأن كل ما كتبه الله له هو خير له ، وهذا ما يزيده تقربا إلى الذات الإلهية و معرفتها أكثر فأكثر ، وهنا يتوصل في الأخير إلى عشق الذات الإلهية ، و الفناء فيها و مجموع هذه الأسئلة المطروحة من قبل "شاهين " هي جوهر المعرفة الحقيقية ، التي يسعى الصوفي إلى الوصول إليها ؛ وهي ما اصطلح عليه ؛ "الحيرة الصوفية " ؛ إذ " ليست الحيرة الصوفية موقفا شاذا داخل التجربة الصوفية ، وإنما هي عتبة أساسية من عتبات السلوك و الكشف الصوفيين"[3]،وهي جزء لا يتجزأ من التجربة الصوفية ؛تعبر عن قلق يؤرق نفسية المتصوف حول الوجود ، و الواقع و الله ... إلى غير ذلك من الأمور المحيطة به ؛ فبها يكشف الصوفي عن السراب المحيط بالحقيقة الوجودية .

---

[1] المصدر السابق، ص254.

[2] المصدر نفسه ،ص 273 .

[3] محي الدين ابن عربي ، الفتوحات المكية ،ج 2 ، تح: عثمان يحي ، المكتبة العربية ، مصر،ط2 ، 1405ه 1985 م ،ص329 .

2/شمس الدين التبريزي :

برزت شخصية أخرى في الرواية؛ نالت تيمة العشق عندها حظا وفيرا ، ولعل الروائي **"أدهم العبودي"** نهل من القصة الحقيقية و الشائعة للدرويش " شمس الدين التبريزي " و العالم الكبير" جلال الدين الرومي "، كي يبلور الأحداث التي وقعت في روايته، بيد أن شخصية روايته تمثل نسخة عن شخصيات القصة الأصلية ، التي تحكي عن قصة هاتين الشخصيتين – "جلال الدين الرومي" و "شمس الدين التبريزي" – و رحلتهما الصوفية ، للبحث عن الذات الإلهية و الفناء في عشقها ، و الثناء على هباتها ، وانتهوا ليرسوا للعشق الإلهي قواعده ، فشخصية "محمد داد التبريزي" ؛ التي تشبه شخصية "شمس الدين التبريزي الحقيقي" ، باح فيما يجول في وجدانه عن تعلقه بالذات الإلهية و عشقه لها ، و هذا ما جعله محل سخرية بين أقرانه ؛ لأنه يروي لهم أحلامه التي يرى فيها الملائكة و النور وأنه صعد إلى السماء ؛ حيث يقول : "بالطبع لم يصدقني أحد ، حتى الأئمة و مفسروا الأحلام الذين استرسل معهم أبي في الحديث عن الرؤى التي تراودني ، ... يشيرون إلي هزؤا قائلين : المجنون **...** " [1] .وهنا قرر شمس الدين التبريزي الرحيل، و التخلص من كل هذه المضايقات التي كانت تشكل له هاجسا ، خفية عن أبيه ؛ لأنه يدرك أنه لن يسمح له بذلك ؛ يقول : "أخرج عبر درب غير مطروق فإذا استيقظ أبي ، لعله يعزو الأمر ... كان علي – ككل مجنون – أن أرتحل ، أجل أرضك واسعة يا معشوقي السماوي " [2] .

وهذا تعبير صريح من قبل "التبريزي" عن حبه للذات الإلهية ؛ و يسترسل في كلامه قائلا : " يا الله ، يا حامل رؤياي ، و يا منتهى كل عبث دنيوي ، عام يمضي وراء عام ، و عشقك في خلاياي يجري بجريان الدم ، كيف أصبر مختزنا كل هذا الشوق ؟

[1] أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي ، ص 57 .

[2] المصدر نفسه ، ص58 .

نراك عبر أنفسنا ... إنما أنت أصل الحب و المغفرة ، أصل الرحمة و العشق ، ... طريقي إلى المعرفة صنعها فؤادي غاب عقلي و ترك فؤادي مرشدا ، ... باتت روحي معلقة إليك فلا تخذل روحا عاشقة يا الله "[1] .

من خلال التمعن العميق في ثنايا هذه المقولات للتبريزي ؛ نتوصل إلى قمة التعلق بالذات الإلهية ، حيث أصبح الحب الإلهي بذلك يسري في روح التبريزي ؛ سريان اللون في المتلون .

وفي رحلة "محمد بن ملك داد التبريزي" للبحث عن الحقيقة الخالصة، و ما لاقاه فيها من معيقات، إذ رث ثوبه ، وأصابه من الجوع ما أصابه ، ونام في العراء يلتحف السماء ، لم يثن هذا من إصراره على مواصلة بحثه، وكان إذ ذاك يتغزل بمعشوقه " ابتسمت لمعشوقي ابتسامة حمد طفيفة، ... و استغرقني العشق، والنور بقلبي لم يكن لينطفئ، بل كان يترعرع و يتبلور في الوقت الذي كانت الوحشة من مادية العالم تترعرع أيضا"[2] .

و كانت أفعاله هذه تؤكد و تبين صفات الصوفي العاشق؛ و ذلك بالإنصراف و إلى " الزهد في الدنيا و الإشتغال بالذّكر و العبادة ، و القناعة و الرضا بالقليل ، من المطعوم و الملبوس و المشروب و رعاية الفقراء ، و ترك الشهوات و المجاهدة و الورع "[3] .

هذا ما عكسته شخصية "التبريزي" ؛ الذي حرر روحه و جسده من قيود ملذات الدنيا ، يقول : " الروح سيدة نفسها فإن روحك تحررت رأيت الله ... الحقيقة دائما تسكن الأعالي و الظافر من صنع من الحقيقة معبرا ، أنت تارك كل الحقائق بعد موتك ، و الذي

[1] المصدر السابق، ص85 .

[2] المصدر نفسه ص 99.

[3] عبد الرحمن السلمي ، المقدمة في التصوف ، ص72.

سيبقى منك ، إلهام العشق نفسه ، كن خفيفا فارغا ، تصل إلى عدمية الوجود ، وإن وصلت رأيت الله "[1] .

و في هذه المرحلة ؛ التي يصل إليها المتصوف؛ يستشعر الكنه الحقيقي و الأسرار الكامنة ؛ التي تحتويها الأشياء في هذا الوجود ، و العاشق الحقيقي الذي يبتغي وصالا بمعشوقه ؛ستوصله إرادته إلى ذلك .

فالعشق الإلهي؛ يقود المرء المحب إلى عالم خال من شهوات الدنيا و ملذاتها، و هي رحلة ينكشف من خلالها ما خفي من خبايا النفس البشرية ، " فإن السعي وراء الحب يغيرنا ، فما من أحد يسعى وراء الحب ؛ إلا وينضج أثناء رحلته ، فما إن تبدأ رحلة البحث عن الحب ؛حتى تبدئين التغير من الداخل و الخارج "[2] .

ومن هذا المنطلق؛ نجد أن العشق يستطيع تغيير الواقع ؛ فيليّن القلوب و يزكي النفس، و يرتقي بالروح إلى أعلى مصافها.

و الصوفي "محمد داد التبريزي" كان متأملا فذا ؛ وذلك من خلال ترويض بصره و بصيرته ، في خلق الله ولما كان مريده " شاهين " كفيفا لا قدرة له على إبصار هذا الكون ؛ تكفل الدرويش بوصفه له ، محاولا أن يعطي له فكرة شاملة حوله ؛ قائلا : " الثلوج تكسو هامات الجبال البعيدة ، وتسبح كهوام قطن بيضاء بدوران البصر ، ... أقف شاخصا بعيني وجهة السماء و أراقب أسراب الطيور الهاربة من الصقيع ، ...احتوى عناصر الاتصال مع الطبيعة ...كلها عناصر تصلح للاتصال مع الله ، الريح و الشجر و الجبل و التربة و البشر يمكن أن تستخرج منهم حقول اتصال لا نهائية إنما عليك أن

[1] أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي ،ص221.

[2] المصدر نفسه ، ص311.

توجه روحك لهذا"[1] ولعل الشاهد من هذا الإدراك العميق لمكونات العالم الخارجي هو الذي جعل من "شاهين " عاشقا هو الآخر ، ومحبا للذات الإلهية ، وغدا الحب الإلهي مستقرا في قلوبهم لا يحيدون عنه ولا يشكون فيه.

3/جلال الدين محمد بلخي :

شخصية "**جلال الدين بلخي**" ؛ هي شخصية أخرى ظهرت في الرواية ، متقمصة شخصية حقيقية، تتمثل في الفقيه "جلال الدين الرومي" ، الذي هو الآخر؛ يمثل كبار أعلام المذهب الصوفي ؛ يتحدث في الرواية عن رحلته من مدينة بلخ – موطنه الأصلي – إلى مدن أخرى مجاورة ، وكان هذا بسبب الحرب الفتاكة التي شنها جيش التتار على مدينته ، كما ذكر أمه المثقفة التي كانت تحكي القصص التاريخية للأطفال ، بغية تناقلها بينهم و الحفاظ عليها من خطر الزوال بين طيات الزمن ، وهذا دون أن ننسى أباه ؛ الذي كان من بين العلماء الذين يحتذى بهم ، له شأن و قدر كبير بين الناس ، نظرا لغزارة علمه ، حتى مكنه هذا من أن يلقب " بسلطان العارفين " .

كانت نفسية "جلال بلخي" أمارة بالأسئلة ، تدفعه دفعا إلى تبين السبيل الذي يقوده إلى الله ؛ يقول حائرا: " إن الله لا بد غفا أو تكاسل و ترك العالم يطيش و ينحرف ... هل أنت حقيقي أم مجرد أسطورة صنعها ابن آدم ليلوذ بها جزافا يوم يشعر أنه مجرد ورقة يابسة في مهب الريح ؟ "[2].

و على منوال هذه الأسئلة ؛ التي طرحها "**جلال الدين** " ،وجد ما يقوده إلى الأجوبة التي تشفي غليله من الحيرة التي كان يعيشها إزاء هذا الإله؛ الذي لا يدري كيف يسير هذا الكون.

---

[1] المصدر السابق ، ص 347.

[2] المصدر نفسه ، ص25.

أثر الشعر على نفسية "جلال الدين"، فأصبح بذلك شاعرا و متصوفا في الآن ذاته ،و كان يلقي شعره على مجموع الطلبة الذين يدرسون على يده ، وينهلون العلم و المعرفة منه فينشد لهم قائلا :

هَل الحَياةُ لِتُفنَى يَهبُ الله أخْرَى ؟

مَجْد المُطْلَق وَسَلم بالمُقَيد

كُلُ قَطرَةٍ تَنْفَصلَ عُمْرٌ مُسْتَجَد[1]

يقول لـــــــ"**كيرا**" التي هي إحدى المتأثرات بشعره الصوفي ، مؤكدا على وجوب تعلق القلب بالله وحده :

علَى الرُوحِ أن تَغتَسِلَ بِعِشق الله

وَ أينَ هُو الله فِي وسَطِ هذا الخَرَابِ

إنَّمَا الخَرَابُ خَرابُ أرواحٍ لاَ أجْسَاد[2]

يرشد الرومي مريدته إلى التعلق بالذات الإلهية؛حتى تتخلص من الخراب الذي حل بنفسيتها ، ويجعل من العشق الإلهي مطهرا للنفس المحطمة و المنهارة بسبب قساوة الدهر عليها .

تتلمذ "جلال الدين" على يد الصوفي الكبير" العطار" الذي أسهم هو الآخر في تكوين الرحلة الصوفية لدى الرومي، إلى جانب تعلمه قول الشعر على يده حيث يقول:

[1] المصدر السابق ،ص279.

[2] المصدر نفسه ،ص317.

" رحت أغوص في عوالم الشعر شيئا فشيئا، والعبارات الروحانية الجذلة، و التراكيب و المعاني الصوفية التي تغلغلت بداخلي "[1] .

علاوة على هذا لا يمكن إنكار توجيهات وصايا والده بهاء الدين ، الذي كان – كما عرفنا من قبل – منارة في العلم أيام زمانه ، ولم تمنعه سكرات الموت من إرشاد ابنه للطريق القويم؛ إذ نصحه قائلا : " أوكلت لك نفسك فاحرص ألا يسكنها النكران و الجحود، أعرف طريقك إلى الله بالعشق نجاة ابن آدم في العشق " [2] .

ومن الدلائل التي تشير إلى العشق الإلهي الخالص ، أن يقوم المتصوف بترويض الروح و الجسد لخدمة الله و عبادته، عبادة تليق بمقامه عز وجل، و ذلك عن طريق ترك كل شيء دون الله حتى يخف جسده، بما فيه من ثقل الرغبات، يتحول هذا الجسد من سجن إلى سراج و مصباح يضاء بنور القرب و المحبة، فعندما يحرم العاشق نفسه من مغريات الدنيا و شهواتها في سبيل الحصول و نيل رضا الله، ومن ثم التقرب إليه، فقد أثبت عشقه ووفاءه لمعشوقه – الله – "فإذا أحب الإنسان ربه و عشقه كان قوته ذكره، فهو معشوقه الأوحد ، ولا يشرك في حبه شيء "[3]

فهذا الإخلاص النقي للمعشوق ، يبرهن على العشق الإلهي الصافي المتدفق من قلب عاشق زاهد في الدنيا .

والعبادة الخالصة لوجهه تعالى؛ هي الهدف الأسمى الذي يتطلع لوصوله كل متصوف، ولبّ العبادة هو" إفناء النفس، وبقية العبادة ليست سوى القشر، وما لم تفن عن هذا الوجود؛ فلن تحصل على وجود من وجوده تعالى " [4] ، فعلى الصوفي أن يحاسب

---

[1] المصدر السابق ، ص321 .

[2] المصدر نفسه ،ص242.

[3] المصدر نفسه ،ص241.

[4] االمصدر نفسه ، ص241.

نفسه في الدنيا قبل الآخرة، و على ضوء هذه الفكرة أوصى محمد بن علي الباقر بعض أصحابه، فقال : "لا تدع النفس في هواها ،فإن هواها أذاها "[1] ،فلا بد على كل نفس تريد الوصول إلى الذات الإلهية ؛أن تترك كل ملذات الدنيا و شهواتها للتقرب إلى الله، و تهجر كل شيء ما دون الله عز و جل، حتى تصبح روحها روح عاشق ، مفعمة بالحب الإلهي الصرف لا غير.

ب/ العشق الإنساني :

إذا كان العشق الإلهي يختص بعشق الله وحده ، فإن العشق الإنساني يتمثل في عشق الإنسان لبشر إنساني، مثله فالعلاقة التي تربط الأشخاص ببعضهم البعض جسديا و روحيا ، تورث في الوجدان مشاعر شتى؛ و تؤجج العواطف ؛و تثير الهواجس، فمن ثم يدرك المرء مكونات نفسه ، و يعرف خباياها و يسبر أغوارها ، فيصبح بشكل ما مدينا في اكتشاف نفسه لمحبوبه .

و العشق الآدمي هو" الإفراط في المحبة وهو الذي يوقد نار الشوق و الوجد في القلب ... و الإنسان إذا ما عشق من العالم أي شيء كان، من خرس أو دار فما قابله إلا بالجزء المناسب ،ففني منه ذلك الجزء المناسب لعشقه فيه "[2] ، فمن علامات هذا النوع من العشق هو: الإسراف فيه و اشتعال نار اللوعة و الفقد في قلب المحب، فيشغل هذا الجزء محبوبه و يسكنه فيه .

فالعاشق تجده ينصرف عن سماع أخبار العالم كله، و يصب كامل تركيزه على سماع الكلام في أخبار معشوقه البشري ؛و كلما استدعى اسم من يحب أو سمعه استلذ ذلك، ولعله يتطبع بطبعه، و يعتذر له عن ذنوبه و يغفر له زلاته، و يقضي ليله ساهرا، و

[1] عبد الرحمن السلمي ، المقدمة في التصوف ، ص68.

[2] موفق فوزي الجبر، لوازم الحب الإلهي ، دار معد للطباعة و النشر ، سوريا ، ط1،1998م،ص61

يطيع أوامره دائما، فإذا بلغ ذلك وحصل اتصال بين هذين النفسين البشريتين تولد العشق الإنساني و خرج إلى الوجود .

لقد شكلت المرأة رمزا من رموز الصوفية، فنجدها متأصلة في كتاباتهم إلى جانب رمز الخمرة، ويعود سبب استعمال الرمز في الكتابات الصوفية؛ إلى عدم قدرة اللغة على ترجمة الكم الهائل من الأحاسيس و العواطف التي تلهب نفسية الدرويش، المتعلق قبله بالذات الإلهية، ولذلك لجأ إلى ما يسد غليله هذا بالعودة إلى استعمال الرمز، إضافة إلى الخوف من السلطة الحاكمة التي تشكل أكبر عوائق الصوفية، عن إبداعاتهم و أفكارهم .

وها هو ذا "**أدهم العبودي**" يوظف و بقوة المرأة كرمز في روايته هذه، فنجده يتحدث عن المرأة التي تمثل صورة عاكسة للذات الإلهية عند شخصيات الرواية.

1/ شاهين :

نبدأ أولا بصورة المرأة عند "شاهين" الذي أحب "كيرا" في صمت ، وذلك نظرا لحاله؛ التي كانت سببا في عدم قدرته بالبوح بما يختلج في داخله من مشاعر تجاهها ، و شعوره الدائم بالنقص؛ لأنه كفيف لا يحق له أن يعشق كغيره من الشباب ، و أن هذا الحب كتب فقط ليكون لدى الإنسان الكامل لا غير .

يشكو حاله إلى مولاه " التبريزي " قائلا : " حرمني من النظر و صبرت ، و لكنه حرمني من العشق ألا ترى أن الله يقسو علينا كثيرا "[1]؛لم يتمكن شاهين من خوض غمار الأحاسيس و العواطف الجياشة مع من يحب ، و في ظل هذا البؤس الذي يعتري نفسيته؛ إلى أنه يتوصل في النهاية إلى نتيجة واحدة و أكيدة ، وهي "أن الله " الذي يعشقه و يبحث عنه ، هو متجسد في "كيرا"، التي كانت عمياء هي الأخرى عن حب شاهين لها .

[1]أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي ،ص273.

وذلك عقب عدة تساؤلات كانت تؤرقه ، يقول : "إذا كيرا هي الله ، فسلاما كيرا أين كنت و أين صرت"[1] ، إن صورة "كيرا" بالنسبة لشاهين؛لم تعد صورة المرأة التي تعيش حياة بسيطة عادية ، بل خرجت من هذا المدلول ؛لتحيل على الذات الإهية ،فأصبحت بذلك عاملا يساعد على توضيح حقيقة الشعور الذي يختلج في قلب الصوفي "شاهين" ،الذي بحث بكل ما أوتي من قوة عن الذات الإلهية؛ لينتهي به الطريق إلى استخلاص أن الذات الإلهية عنده مجسدة في " كيرا" ، التي أصبحت مرآة عاكسة ، ليست محدبة ولا مقعرة ولا معتمة ، إنها دائمة الإشراق بنور الله ،تتجاوز بذلك ظاهر الصور لتعكس - و بقوة- جمال الباطن الذي لا يعرف الأفول ، بعكس الجمال الظاهري الذي مآله الذبول و الإضمحلال مع سير الزمن .

لقد كان شاهين من بين ضحايا العشق، فقد أطاح به في شباكه كما أطاح غيره من الشباب العاشقين، الذين لم يحالفهم الحظ بالظفر بمن يحبون ، و يعود السبب الرئيس وراء ذلك هو، عدم قدرة شاهين من التقرب إلى كيرا و مصارحتها، بأنها تمثل له العالم كله ؛وأنها هي النور الساطع و الجانب المشرق في حياته المظلمة ، بل هي الله الذي يعشقه .

لقد عانى ويلات الحب وحده فيقول : " سنوات يا كيرا و لم أنسك ، سنوات في ظلامي و أنت بارقة النور ، كل العالم يدور من حولي و أنت بارقة يا كيرا "[2] ،لم يستطع العاشق نسيان عشيقته البشرية رغم مرور السنين ، و هذا إن دل على شيء ،فهو يدل على الوفاء و الإخلاص الذي يسكن قلب شاهين .

[1] المصدر السابق ،ص22.

[2] المصدر نفسه ،ص 120.

2/شمس الدين التبريزي:

تشكل المرأة لدى التبريزي وجها آخر للعشق الإلهي ، نجده قد هام هو الآخر في الحب الإنساني، الذي تمثل في شخصية "كيما " التي رآها في منامه قبل أن يراها في الواقع و أخبرته باسمها ، ليلتقي بها في الواقع و يتزوج بها في نهاية الأمر .

يقول له مولاه "**ركن الدين السجاسي** " حوريتك قسط من عشق الدنيا يغذي عشقك الأكبر أيها الدرويش "[1] وهنا يغدو العشق البشري قبسا من العشق الإلهي لإن صورة المرأة المعشوقة لدى الصوفيين؛ تكون مركبة و بلا قيمة ؛إذا تدبرناها بأفق غزلي فحسب ؛ ذلك لأن السياق الرمزي الذي استخدمه الصوفيون للأنثى الصوفية ؛ منزاح كلية عما رسخته القصائد الغزلية ، سواء كانت عذرية أم إباحية ،" إنها رمز للحكمة و الحب إن جمالها هو إمارة على الجمال الكلي الدائم "[2]، لجأ الصوفيون بصفة عامة إلى الأسلوب الغزلي ؛و ذلك لأنه الأسلوب الأقرب إلى خلجات النفس البشرية ؛ وبذلك أصبحت المرأة تمثل الحقيقة التي يبحث عنها كل متصوف عاشق للذات الإلهية ، كما ساعدت في الكشف عن خبايا الروح التي تسكن المتصوف ؛ فاكتست بذلك ثوب العشق الإلهي .

أصبح التبريزي يحلم بصورة"كيميا "فقط ، دون رؤية الله و الملائكة في منامه ،كما كان يرى سابقا – على حد قوله – أصبح يراها إن غفا نهارا أو ليلا ،أصبحت تسري في عروقه سريان الدم في الجسد ، فأصبحت بذلك ليست مجرد فكرة ولا مجرد إحساس ، بل غدت الوجود بأسره ،أصبحت سر إدراكه لذاته[3]، و هذا هو الحال كل عاشق .

---

[1] المصدر السابق، ص150.

[2] ينظر : أسماء خوالدية ، الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة و الإغراب قصدا ، منشورات الاختلاف ، لبنان ، ط1، 1435ه -2014م ص58.

[3] ينظر : عادل صادق ، العشق ، مؤسسة الأهرام للنشر و التوزيع ، القاهرة ص34.

يرى التبريزي أن الله متجسد في صورة "كيما" ؛التي أحبها بشغف . يقول في هذا: "كانت أمثولة قصور عشقي الأكبر عشق الله، كأن الله تجلى وسكن كيما " [1] ؛ بهذا اكتمل مفهوم العشق عند التبريزي ؛ أصبح العشق الإنساني بالنسبة له ؛ صورة من صور الله الذي يبحث عن ماهيته و حقيقته .

3/جلال الدين الرومي:

و هاهو ذا الفقيه "جلال الدين الرومي "وعلى منوال سابقيه ، يتحدث عن الحب الإنساني ؛ وذلك في شقيه الأول ؛الذي يتمثل في حبه لزوجته " جوهر خاتون " وحبه الثاني المتمثل في حبه " لكيرا" ؛ الفتاة المسيحية التي عشقها شاهين .

فبالنسبة لحبه الأول؛ فلقد رآها لأول مرة وأحبها ، فكثيرا ما يكون لصوق الحب بالقلب من النظرة الأولى، " بمعنى أن يعشق المرء صورة لا يعلم من هي ولا يدري لها اسما ، ولا مستقرا"[2] ، و هذا بالفعل ما وقع مع الرومي و زوجته جوهر خاتون؛ التي هام في حبها من الوهلة الأولى ؛و التي لم يكن يعرف عنها شيئا ، ولا حتى أصلها أو ماضيها،إلا أن هذا لم يمنعه من التقرب إليها ، و طلب يدها للزواج ليرزق معها بولدين : " سلطان ولد "و "علاء الدين شلبي " .

لقد أحب جلال الدين الرومي زوجته حبا جما ، قوامه الوفاء و الإخلاص وما يدل على هذا ، هو حزنه الشديد ؛الذي زعزع كيان عشقه ،أثناء سماعه خبر وفاة زوجته ، حيث أصبح كل شيء حوله مختلفا عما كان عليه من قبل ، أضحى كل ما حوله حلقة مفرغة ،لم يدرك كيفية الخروج منها .

[1] أدهم العبودي ،حارس العشق الإلهي،ص179.

[2] علي ابن حزم الأندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف ، مؤسسة هنداوي ،ط1،2016ص31.

بقي "جلال الدين الرومي" على هذه الحال ،إلى أن تعرف على حب آخر ؛ سد الفراغ الذي خلفه موت زوجته؛ وهو حب "كيرا" التي كانت تأتي عنده في منزله لتسمع أشعاره ، التي كان ينشدها لتنتهي قصة تعارفهما هذه بطلب الرومي الزواج من "كيرا" يقول في الرواية : " في زيارتها الأخيرة لي كضيفة ، صارحتها في جسارة : كيرا تزوجيني "[1] ؛ تقبل كيرا هذا الطلب من هذا الأخير ، فتعيش معه أحلى لحظات عمرها ، يقول الرومي عن صورة كيرا و نظرته لها : "كيرا بدت لي نسخة طبق الأصل من عشقي لله ، ولكن على هيئة بشرية "[2] و هذا تعبير صريح عن رؤية الله في صورة المرأة التي يتعلق بها " فهذا التصور لا يقف عند حدود الخاصية الإنسانية و الأنثوية للمرأة ، وإنما يعتبرها مظهرا من مظاهر الجمال الإلهي ، وشكلا من أشكال السر الأنثوي في العالم فتحضر المرأة باعتبارها شفرة توحد بين ما هو طبيعي و ما هو روحي ، بين الإلهي و الإنساني تحقيق لتجل أكمل للألوهية "[3] و لقد اكتملت الصورة الإلهية لجلال الدين الرومي عن طريق كيرا ؛التي بادلت هي الأخرى نفس الأحاسيس و المشاعر التي كان يكنها لها الرومي .

إن الحب الإنساني هو تعبير صادق عن خلجات النفس ؛التي تكون تلتهب بنار العشق ، لجأ الصوفيون إلى التعبير عن الذات الإلهية بصورة المرأة في الواقع ؛لأنها الأقرب إلى الأحاسيس و العواطف التي تسكن روح المتصوف ؛فخرجت بذلك المرأة عن صورتها الحسية الواقعية ؛لتدل على شيء أكثر رفعة وهي الذات الإلهية ؛ هذا ما يبينه موقف كل من "شاهين "و "التبريزي" و "جلال الدين الرومي "للعشق الإلهي ؛حيث يرون أن المرأة مجسدة في صورة واقعية حقيقية للذات الإلهية ، فيعشقونها و يهيمون في حبها .

---

[1] أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي ص 320.

[2] المصدر نفسه، ص319.

[3] أسماء خوالدية ، الرمز الصوفي بين الاغتراب بداهة والاغتراب قصدا ،ص59.

و تحت هذا العنوان ؛ يندرج حب آخر بصورة مختلفة عن الصور السابقة ، و هو الحب الذي يجمع بين كل من "جلال الدين الرومي "و" شمس الدين التبريزي "، اللذين يعتبران من أبرز كبار المذهب الصوفي .

ففي الرؤى التي كانت تنتاب شمس الدين التبريزي ، شاهد في حلمه هذا أنه رجلا بين الملائكة ، ذا وجه صبوح بهي ، وعلى كتفيه عباءة من مرمر ، هتفت الملائكة له قائلة : "مولانا " ، ثم يلتفت ذلك الرجل إلى التبريزي و يقول له : "أنا سيد الجلال ، ستعثر طريقانا على ملتقى ، إنما استعد ووضيء روحك و منذ ذلك الوقت ظلت الأحلام بذلك الرجل تتكرر الواحدة تلو الأخرى ، يقول "لم يكن وجه سيد الجلال ، رجل الرؤيا الأولى ، يفارق خيالي ، ظل حيا بداخلي تستدعيه الذاكرة بلا حيلة ، قال طريقانا سيلتقيان ، وكأنما بت أرتحل بين القرى و المدن لمجرد أن يلتقي طريقانا ، وأقابله وجها لوجه .أجل أبحث عنه ، وبكل روح عاشقة " [1] .

وهذه القصة تتناص مع قصة " جلال الدين الرومي" و" شمس الدين التبريزي" الحقيقية ، ففي تعريفنا بشخصية جلال الدين الرومي – كما ذكرنا سابقا – أن لقاء التبريزي بجلال الرومي؛ أدى إلى التغيير الجذري في حياة الرومي ، الذي أوعز إلى انخراط الرومي في أبحر الصوفية؛ و الغوص في أعماقها الغامضة ، لقد كانا يقضيان حوالي أربعين يوما مع بعضهما ،ينهلان من العلم و المعرفة وما يمكن تحصيله.

و في اليوم الذي اغتيل فيه "التبريزي" صاح باحثا عن صديقه قائلا : " أين جلال رفيقي ؟ فردد واحد : لو لنا أن نفهم سر عشقكما أنت و" الرومي ؟" فيجيب قائلا : إنما هو مصير قبل لقاء ، أبد من قبل البدء ، وخلود ليس له أزل "[2] .

[1] أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي ، ص 100.

[2] المصدر نفسه ، ص64.

يختم "**أدهم العبودي** " روايته هذه باتحاد هاتين الشخصيتين لتصبحا نفسا واحدة ، نجده قد أعطى للجزء الأخير من الرواية عنوان لافتا ؛ وهو : " مولانا شمس الدين الرومي " يقول فيه : " ذب لا تهمك الأسماء في هذه اللحظة ، في هذه الرحلة بالذات ، نحن خارج حدود الوعي ، إن التوحد هو سر العشق الإلهي ، هو الحقيقة المطلقة ، الحقيقة التي ليس قبلها و لا بعدها حقائق ، أنا وأنت " شمس و جلال " أو " جلال و شمس " أرواح العشق أو كل الأسماء مدمجة لا يهمك "[1] ، تنتهي الرواية باتحاد هذين الشخصيتين، الصوفيين اللذين ربطهما الحب الإلهي و أدخلهما في بوتقة واحدة؛ و هي ما يعرف بـــ" العشق " .

و ختاما لهذا نخلص في الأخير إلى أن أنواع العشق في رواية " حارس العشق الإلهي لأدهم العبودي " تتجلى في ثلاثة أنواع محورية ؛أولها العشق الإلهي، و هو العشق الطاغي على هذه الرواية، ثم يليه العشق الإنساني؛ الذي تمثل في عشق "شاهين" ل كيرا ، وعشق "التبريزي" ل كيميا ، وأخيرا عشق "جلال الدين الرومي" لزوجته "جوهر خاتون " و كيرا" التي أحبها بعد وفاة زوجته ، أما بالنسبة للنوع الأخير و هو العشق الذي جمع كل من "شمس الدين التبريزي "و "جلال الدين الرومي "الذي ينتهي بالإتحاد فيما بينهما كنهاية للرواية .

2/ الحقل الدلالي للفظة " عشق ":

ليتوصل الباحث في سبيل تنقيبه عن التيمة الأساسية و المحورية المتكررة في العمل الأدبي ؛ وجب عليه في بادئ الأمر أن يقوم بقراءة سطحية ؛ثم ينتقل من القراءة السطحية إلى القراءة المعمقة ، التي تكون أكثر دقة و عمقا من الدراسة الأولى ، ثم يقوم

[1] المصدر السابق،ص361.

بحصر العناصر و الألفاظ التي تحمل نفس المعنى و تتكرر بكثرة ، وبشكل لافت في نسيج العمل الأدبي و ذلك عن طريق إحصائها .

تؤكد هذه الأخيرة مركزية الموضوعة ، وبعد الدراسة السطحية و المعمقة للرواية تم إحصاء لفظة "العشق " ومايرادفهامن كلمات،تحصلناعلى الجدول التالي:

اللفظة	عدد تكراراتها
عشق	127
حب	40
جموح	3
لوعة	2
هيام	1
غرام	5
شوق	2
نشوة	7
شهوة	2
حميمة	2
شغف	3

ومن خلال الجدول أعلاه نجد أن التكرار الأكثر ورودا هو لفظة "عشق " ثم تليها لفظة "حب " بصورة أقل ، ثم تليها بقية الألفاظ التي تحمل في ثناياها نفس المعنى .

يعد التكرار من أهم العناصر التي يبنى عليها العمل الأدبي، و التكرار في الخطاب الروائي " وسيلة من الوسائل السحرية التي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة "[1] و تكمن أهمية هذه الظاهرة في إبراز أهمية الكلمة المكررة في السياق ، فتكون بمثابة النغمة الأساسية التي تصور مشاهدة النص بكامله ،و تعبر عن فضاء النص العام ، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن ظاهرة التكرار؛ لا تلعب دورا عاديا مجردا ؛و إنما تتجاوز ذلك إلى إبرازالتيمة المهيمنة على النصوتعميق لصورتها داخل.

والتكرار شكل من الأشكال التي تجلي شعرية النص و تحدد موضوعه المطروق ، فهو يلعب دورا دلاليا على مستوى الصيغة و التركيب ، بالإضافة إلى كونه خاصية أساسية في بنية النص الأدبي .

و في روايتنا هذه؛ نجد أن الكاتب قد استغل الطاقة التكرارية لدلالات لفظة العشق ،سواء بالكلمة الواحدة أو تكرار مرادفاتها ،لإظهار التيمة التي تتمحور حولها الرواية .

لقد أسهم هذا بشكل كبير؛ في تحديد غرض الكاتب، و إبراز الفكرة الرئيسية التي ترتكز عليها الرواية؛ إضافة إلى أنه أسهم في تنسيق النص، و انسجام أفكاره بشكل كبير.

ويمكننا أن نأخذ تعريفات بسيطة، لبعض هذه المصطلحات المذكـــورة في الرواية ، ولقد سبق و أن عرفنـــــا لفظة " عشق " فنورد تعريفا للفظة "**شغف**":

وهي مأخوذة من الشغاف؛ و الذي هو غلاف القلب ، و قد ذكرت هذه اللفظة في القرآن الكريم ، في سورة يوسف ، يقول عز وجل : ﴿وَقَالَتْ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ

[1] مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف، الإسكندرية ، ط1، 1998، ص 30.

العَزِيْزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِيْنٍ>> [1] و هذه الآية تصف حالة زليخة امرأة العزيز و تعلقها بيوسف ، فقد تغلغل حبه و تخطى شغاف قلبها.

الحب : وهو ثاني الألفاظ المكررة في الرواية بشكل كبير ، وهو عكس البغض ، فالحب بمعنى الوداد ، وكذلك " الحِب" بالكسرة تعني المحبوب .[2]

وقد تحدث عن مفهوم الحب ابن حزم الأندلسي في كتابه طوق الحمامة بين الألفة و الآلاف ،حيث يرى بأن الحب هو" أول اتصال بين أجزاء النفس المقسومة في هذه الخليقة ، فما تناسب في النفوس اتصل ، ومن علاماته : إدمان النظر فالنظرة هي انطلاق الحب ، و من علامته أيضا الكتمان ؛و هي سمة فاضلة في الشخص المحب ، و في نفس الوقت تعد سترة على المحبوب ، إضافة إلى الثبات و عدم التقلب ، لأن من يحب حقا لا يخون عشيقه فيضل مخلصا ووفيا له ، وصابرا عليه ، ومن علامته أيضا الاضطراب الذي يبدو على وجه المحب عند سماع اسم محبوبه أو عند رؤيته "[3].

كل هذه العلامات إذا توفرت في شخص؛ فهذا يدل و يؤكد على وقوعه في شباك العشق .

الشوق : هو سفر القلب إلى المحبوب و ارتحال عواطفه و مشاعره؛ وقد جاء هذا الاسم في حديث نبوي شريف؛ إذ روي عن عمار بن ياسر أنه صلى صلاة فأوجز فيها فقيل له : أوجزت يا أبا اليقظان ، فقال : " لقد دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يدعو بهن : " اللهم بعلمك الغيب ، و قدرتك على الخلق أحيينى إذا كانت الحياة خيرا لي ، و توفني إذا كانت الوفاة خيرا لي ، و أسألك خشيتك في الغيب و الشهادة ... و أسألك لذة النظر إلى وجهك ، و الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ،

[1] سورة يوسف، الآية 30.

[2] ابن منظور ، لسان العرب ،ج3ص 290.

[3] ابن حزم الاندلسي ، طوق الحمامة في الألفة و الآلاف ،ص 25.

و قال بعض العارفين لما علم الله بشوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعدا للقاء تسكن به قلوبهم .[1]

الغرام : و هو "عشق الشيء و التعلق به بحيث لا يمكن الخلاص منه ، و يقال وقع في غرامها : أي أحبها حبا شديدا "[2] و هو الحب اللازم الذي لا يفارق الشخص محبوبه مهما كانت الظروف .

الهيام : و هو جنون العشق؛ و أصله داء يأخذ الإبل فتهيم و لا ترعى ، و الهيم الإبل العطاش؛ فكأن العاشق المستهام قد استبد به العطش إلى محبوبه ، فهام على وجهه لا يأكل و لا يشرب ولا ينام ، و انعكس على كيانه النفسي ، والعصبي ، فأضحى كالمجنون أو كاد يجن فعلا .[3]

و العشق بصفة عامة ، هو التعلق المفرط بالشخص ، وهو عبارة عن مشاعر و أحاسيس يشعر بها الواحد تجاه الآخر دون أي مصالح مادية أو شخصية.

نخلص في الأخير إلى أن كل هذه الألفاظ تصب في مجرى واحد ، وهو " العشق" و هي اللفظة الأكثر شمولا و اتساعا، كما أنها اللفظة الأكثر استعمالا، مقارنة مع الألفاظ الأخرى ، كما نستنتج أن الحب الصادق لا يكون فقط بين الرجل و المرأة ، بل هو أعمق بكثير ، فحب العبد لربه و رسوله الكريم هو أسمى معاني الحب و أفضله ، فالصوفي يحب ربه أكثر مما يحب نفسه ، ويقوم بكل ما يأمره و يتجنب كل نواهيه ، طمعا منه أن يكسب رضاه و محبته .

---

[1] ينظر: شرين أحمد ، تعريف الحب : ما هو الحب ، 17 ماي ، 2016https://mawdoo3.com . 01/03/2019

[2] أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ،عالم الكتب ، القاهرة ، المجلد الأول ، ط1،2008، ص 1613.

[3] ينظر: شرين أحمد، تعريف الحب،: ما هو الحب ؟.

لا تكاد تخلو كل صفحة من صفحات رواية " حارس العشق الإلهي لأدهم العبودي" من ورود كلمة "عشق" أو أحد مشتقاتها، و هذا ما يعزز و يثبت هذه التيمة في العمل الروائي ، و يجعلها التيمة الطاغية فيه دون منازع.

هذا ودون أن نغفل عنوان الرواية ؛الذي يحمل هو الآخر هذه اللفظة ، وإن كان يدل هذا على شيء، فهو يدل على التأكيد و التصريح بموضوع الرواية العام، وهو "العشق الإلهي" الذي أخذ القسط الكبير من الرواية ، حمل لواءه كل من "شاهين "، و" جلال الدين الرومي" ، و "شمس الدين التبريزي" ؛و كل بشاكلته.

3/ دلالة قواعد العشق الأربعين في رواية حارس العشق الإلهي:

تعد موضوعة "العشق الإلهي" إحدى أهم أساسيات الفكر الصوفي ؛التي تقوم على التوجه التام للمتصوف بقلبه و عقله للذات الإلهية لا غير ، و يكون ذلك بصورة خالصة لوجهه الكريم ، فيتفرغ على إثرها لعبادته وحده ، و التضرع له و التوسل إليه ، و الغاية من هذا العشق كله هو هدف واحد ووحيد ؛ألا وهو الوصول إلى المعرفة الحقة ، و هذا ما يؤكده شرح ابن عباس للآية القرآنية في قوله تعالى : "وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ "أي بمعنى ليعرفون[1] ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الحب الإلهي ؛الذي يتميز بصفة الأزلية و المطلقية في الآن نفسه؛فهو خالد لا يموت حتى يلقى العبد ربه في الجنة ، ولا تعتريه نسبية أبدا .

تحمل رواية حارس العشق الإلهي في طياتها هي الأخرى مجموعة من قواعد العشق الإلهي ،التي أرسى مبادئها الدرويش "شمس الدين التبريزي"، وهي عبارة عن أساسيات يسير على هداها المريد الصوفي؛ ليبلغ إلى أعلى مصافات الحياة الروحية ، و يتحقق بذلك العشق الإلهي ، فتصبح نفسية المتصوف خفيفة كالريشة ، قوية كالجبال لا

[1] عبد الكريم بن هوزان القشيري،الرسالة القشيرية ،مطبعة بولاق ،1184ه،ص238.

تزال مهما عصفت به رياح الدهر ، و قصفت به صواعق الحياة الواحدة تلو الأخرى ، يبقى متشبثا بشيء اسمه الأمل ، فيتقرب بذلك إلى الذات الإلهية؛ التي تعد في فكرهم الهدف الأسمى الذي يبغون وصاله دوما.

يقول شمس الدين التبريزي في كتابه "قواعد العشق الأربعين ": "يوجد معلمون مزيفون و أساتذة مزيفون في هذا العالم ربما أكثر من عددا من النجوم فالكون المرئي فلا تخلط بين الأشخاص الذين يعملون بدافع السلطة و بين المعلمين الحقيقيين ، إذ أن المعلم الروحي الصادق لا يوجه انتباهك اليه ولا يتوقع طاعة مطلقة أو إعجابا تاما منك ، بل يساعدك على أن تقدر نفسك الداخلية و تحترمها ، إن المعلمين الحقيقيين شفافون كالبلور ، يعبر نور الله من خلالهم "[1] ، كانت هذه أولى القواعد التي تحدث عنها" **أدهم العبودي** " في الرواية ؛ والتي تقوم على التفرقة بين نوعين من المعلمين " مزيفون و حقيقيون " و الفرق الجوهري بينهما هو الهدف الأسمى الذي يسعى له كل منهما ؛فالصنف الأول من المعلمين يعملون بدافع السلطة ،و يرجون من قبل ذلك مقابلا .أما بالنسبة للصنف الثاني من المعلمين؛ فهو الأفضل بدون منازع ، لأن العالم يحتاج إلى معلمين بمثل هذا المقام الشريف ، حيث أنهم لا يرجون مقابل لا مادي ولا معنوي ؛بل يسعون في مشوارهم التعليمي إلى تنشأة ذات مستقرة نفسيا مدركة لوجودها و كيانها ؛في هذا العام الفسيح حيث يصفهم بأنهم كالبلور ،يعبر نور الله من خلالهم ، وهذا تصوير يليق بمقام مثل هؤلاء المعلمين ،الذين يضيئون درب كل مريد، يهوى الوصول إلى المعرفة الحقة و البلوغ إلى الذات الإلهية و الفناء فيها .

كما تتحدث بعض القواعد عن "الصبر" الذي هو سمة راسخة في روح المتصوف ،تعرفه "سعاد الحكيم" في معجمها الصوفي على أنه "الحبس "فيقال : صبرت نفسي عن

[1] أدهم العبودي ،حارس العشق الإلهي ،ص161.

ذلك الأمر أي حبستها " [1] ؛ فبه يتقرب الإنسان إلى ربه ، وفضل الصبر مذكور في عدة آيات من القرآن الكريم ، لذلك جعله الصوفيون أحد أهم القواعد التي يجب الوقوف عليها ، ليصح إيمان العبد ؛و يشتد عوده و يكتمل عشقه لربه ، يقول التبريزي: "إذ لا يعني الصبر أن تتحمل المصاعب سلبا بل يعني أن تكون بعيد النظر أيضا ، بحيث تثق بالنتيجة النهائية التي ستتمخض عن أية عملية ، ماذا يعني الصبر إنه يعني أن تنظر إلى الشوكة و ترى الوردة ، أن تنظر إلى الليل و ترى الفجر ، أما نفاذ الصبر فيعني أن تكون قصير النظر و لا تتمكن من رؤية النتيجة ، إن عشاق الله لا ينفذ صبرهم مطلقا ، لأنهم يعرفون أنه كي يصبح الهلال بدرا فهو يحتاج إلى وقت "[2] ؛ إن الصوفي يلزم نفسه بالصبر على الشدائد مهما بلغت شدتها ؛ و يتحمل ظلم الدنيا بكل أنواعه و أصنافه ، فالصبر لازم من لوازم العشق الإلهي لدى الصوفية ، فمن يصبو للنجاح و الوصول إلى مبتغاه ؛ فعليه أن يصبر و يواصل دربه ، فالقمة تستحق كل التعب من قبل الشخص الذي ينوي الوصول إليها .

و الهدف الذي يسعى إليه الصوفي هو العشق الإلهي؛ و هذا الأخير يحتاج صبرا عظيما كي يتحقق ، إن الصبر مهم في كل شيء فالحياة جبلت على كدر و تعب ، يقول سبحانه و تعالى : "لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ "[3] ؛ أي أنه يكابد الهموم حتى يموت ؛ لذا فالحب هو الآخر ينطوي على مقدار كبير من الصبر " فلكي تولد نفس جديدة يجب أن يكون ألم ، و كما يحتاج الصلصال إلى حرارة عالية ليشتد فالحب لا يكتمل إلا بالألم " [4] ؛ و إلا لن يكون هناك حب إلهي خالص .

---

[1] سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي ،ص675.

[2] أدهم العبودي حارس العشق الإلهي،ص273.

[3] سورة البلد ، الآية 4.

[4] أدهم العبودي،حارس العشق الإلهي ، ص274.

يسعى التبريزي إلى تبيان مدى الفضل الذي يكون لدى الصابر؛ فهو صفة حميدة ، يتصف بها حتى الأنبياء و المرسلون ؛فهم أيضا واجهوا من قساوة الحياة ما يكفي ولكنهم صبروا ، فنجاهم الله عز و جل ، و جازاهم بما صبروا ، فالرسول صلى الله عليه و سلم؛ واجه الكفار و صبر على إيذائهم له ، ووفقه الله في نشر الرسالة في نهاية الأمر ، إضافة إلى صبر أيوب الذي أصبح مثالا يحتذى به ، و صبر يوسف على إخوته هو الآخر... إلى غير ذلك من الأنبياء الذين اتصفوا بهذه الصفة الحميدة؛ التي يجب أن تكون في كل نفس ، تعاني من قهر الدنيا و ضرها .

ويؤكد قائلا "مهما حدث في حياتك و مهما بدت الأشياء مزعجة ، لا تدخل ربوع اليأس ، وحتى لو ظلت جميع الأبواب موصدة ، فان الله سيفتح دربا جديدا لك ، احمد ربك ، من السهل عليك أن تحمد الله عندما يكون كل شيء على ما يرام ، فالصوفي الدرويش لا يحمد الله على ما منحه الله إياه فحسب بل يحمده أيضا على كل ما حرمه منه "[1]،و هذا بالطبع سيكون صعبا على كل مهموم و عاجز ، فالحمد لله على كل حال سواء خيرا كان أو شرا أمر شاق ، و هذا ما يريد التبريزي أن يكون في نفسية شاهين الضالة التي يئست من حالها ، فالمريد الحقيقي لا يسعى إلى مقابل من عشقه لربه ، بل يعشقه من أجل أن يلقاه فقط ، بذلك تصبح تلك الروح الظالة روحا هنية و مرتاحة ؛خالية من براثن الزمن .

يتعرض الإنسان في مسيرة حياته الطويلة لكثير من المشاكل و الصعاب التي تعيق طريقه، وما بين السهلة و الصعبة و قصيرة المدى أو الطويلة، هنا يحتاج إلى شيء و طاقة تمكنه من تحمل كل ذلك و الإستمرار في هدفه؛ حتى يصل إلى ما يريده، وهذه الطاقة هي "الصبر " الذي هو مهم في مقدمة كل خطوة يخطوها الدرويش في مساره إلى العشق الإلهي .

[1] المصدر السابق ،ص272.

وهو السبيل الوحيد الذي به يستطيع أن يظفر بما يريد ، فهو بمثابة النجمة التي يهتدي بها المسافر أثناء ترحاله ، فبوجوده سيصل حتما إلى ما يرمي إليه ، و بغيابه فلن يفلح في ذلك أبدا ، لأن الصبر مفتاح الفرج ، ولكي يفرج على الشخص ؛فيجب عليه أن يكمل طريقه به فقط ، ولا يحيد عنه يقول سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم ، في سورة البقرة <<يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اسْتَعِيْنُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ>>[1] ،وعلى ضوء هذه الآية القرآنية نؤكد أن فضل الصبر يستحق حقا المثابرة و التحمل لأجل نيل مرضاة الله ، و التبريزي هنا يرسي هذه القيمة و يضمنها في قواعده الأربعين ، ويؤكد على التحلي بهذه السمة كي يكتمل الحب الإلهي .

و لقد استند في استنباط هذه السمة من القرآن الكريم ؛ الذي هو القاعدة التي يجب أن يرتكز عليها الصوفي ،و يجب عليه أن يتحلى أيضا بكل صفة حميدة مذكورة في القرآن الكريم ؛فالتصوف بصفة عامة هو مدرسة للصبر .

تتحدث القواعد الأربعون عن كيفية التعامل مع هذه الحياة و من فيها، و طريقة التأقلم مع متغيراتها يقول التبريزي لمريده "شاهين" : "إن الصوفي الحق هو الذي يتحمل الصبر حتى لو اتهم باطلا، و تعرض للهجوم من جميع الجهات بل لا ينبغي أن يوجه كلمة نابية واحدة إلى أي من منتقديه الصوفي لا ينحني بالأئمة على أحد"[2] و بالتالي يجب تقبل الناس على ما هم عليه سواء كانوا أشرارا أم أخيارا، و إذا قوبل الصوفي بالإساءة من أحد؛ فهو لا يرد عليه بمثلها .فعليه أن يكون محنكا و يعرف كيف يتخطى ذلك بعقلانية ، و هذه أيضا صورة من صور الصبر؛ إذ أن الصوفي يصبر على أذية الآخرين له؛ مهما بلغت درجة الأذى الذي يلحق به.

[1] سورة البقرة ، الآية 153.

[2] أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي ،ص287.

ينهل التبريزي قواعده الأربعين من الحياة اليومية للبشر، معتمدا في ذلك على القرآن الكريم و السنة ، و التأمل العميق في كل صغيرة و كبيرة تمر عليه ، فهو يرى ببصره وبصيرته ما لا نستطيع أن نراه ، فبديهته وفطنته و يلتقط حكمه، و يضعها بمثابة قواعد في كتابة "قواعد العشق الأربعين ".

الرد بالإحسان على من يسيء مذكور أيضا في القرآن الكريم ، يقول جل في علاه :<<لاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَ لاَ السَيِّئَة ادْفَعَ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنْ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهَ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌ حَمِيمْ >>[1] فهذه الآية الكريمة تدل على ما صرح به التبريزي "لشاهين" في كيفية التعامل مع من أساء إليه .

فالدين الإسلامي يحث عباده المؤمنين جملة إلى مقابلة الإساءة بالإحسان؛ و ذلك من أجل نشر المودة بين الناس ، و هذا الرد قد يجعل من صاحب الإساءة يعدل عما فعله ،و يعتذر في النهاية عما صدر منه .

و يكمل التبريزي في قواعده قائلا : " إذا أراد المرء أن يغير الطريقة التي يعامله فيها الناس ، فيجب أن يغير أولا الطريقة التي يعامل بها نفسه ، و إذا لم يتعلم كيف يحب نفسه حبا كاملا صادقا فلا توجد وسيلة يمكنه فيها أن يحب ، و لكنه عندما يبلغ تلك المرحلة ، سيشكر كل شوكة يلقيها عليه الآخرون ، هذا يدل على أن الورود ستنهمر عليه قريبا "[2] ، فهذه القاعدة تؤكد سابقتها فإذا أراد المرء أن يحسن إليه ؛وجب عليه أولا أن يعدل طريقته في التعامل مع نفسه هو الآخر ، فهذا سيجعله أكثر تأقلما مع غيره ؛مهما كانت شخصيته عدائية أو اجتماعية ، لقد وضع التبريزي الإحسان إلى الآخر مقابل الإساءة التي يوجهها ، قانون من أجل الوصول إلى الله بقوله : " من السهل أن تحب إلها يتصف بالكمال و النقاء و العظمة ، لكن الأصعب من ذلك أ ن تحب إخوانك البشر بكل

[1] سورة فصلت، الآية 34.

[2] أدهم العبودي ،حارس العشق الإلهي، ص288.

نقائصهم و عيوبهم ، تذكر إن المرء لا يعرف إلا ما هو قادر على أن يحبه ، فلا حكمة من دون حب ،و ما لم نتعلم كيف نحب خلق الله ، فلن نستطيع أن نحب حقا ، و لن نعرف الله حقا "[1] ،فهذا الأخير بمثابة حاجز يحول بين العبد و ربه فإذا لم يكن الصوفي محبا للآخرين ؛ بكل صفاتهم القبيحة و الحميدة ؛ فلن يستطيع الوصول إلى مناه ؛و هو معرفة الله و إدراك حقيقة الكون .

" قلب الصوفي رحب ، يحب جميع من حوله " ، هذه هي الصفة التي يحاول التبريزي إرساء معالمها في المجتمع ، حتى يعم السلام في المجتمع الواحد مهما تعددت أصناف الأشخاص فيه؛ فالحب و المسامحة هما الوسيلة التي تطهر قلبه ،يصرح التبريزي " فالقذارة الحقيقية تقبع في الداخل أما القذارة الأخرى فهي تزول بغسلها ، و يوجد نوع واحد من القذارة لا يمكن تطهيرها بالماء النقي ، وهي لوثة الكراهية و التعصب التي تلوث الروح ، نستطيع أن نطهر أجسامنا بالزهد و الصيام لكن الحب وحده هو الذي يطهر قلوبنا "[2] ، فهذه هي الطريقة الصحيحة التي يرد بها ،تلزمه حب جميع الأفراد مهما وضعوا الألغام في طريقه ، و عرقلوا سيره ، فلا يثنيه هذا عن مسامحتهم والعفو عنهم ،فالرد بالإحسان لمن أساء مكسب عظيم يتقرب به العبد إلى خالقه .

وفي قاعدة أخرى يحبب فيها التبريزي صفة المسامحة و حب الآخرين يقول : "إن جهنم تقبع هنا و الآن ، و كذلك الجنة توقف عن التفكير بجهنم بخوف ، أو الحلم بالجنة لأنهما موجودتان في هذه اللحظة بالذات ، ففي كل مرة نحب ، نصعد إلى السماء ، وفي كل مرة نكره أو نحسد أو نحارب أحدا ، فإننا نسقط مباشرة في نار جهنم "[3] ، و في

[1] المصدر السابق، ص 289.

[2] المصدر نفسه ، ص289.

[3] المصدر نفسه ، ص163.

هذه يؤكد على أن الحب بين البشر يجعلهم أقرب إلى الجنة، و أن الكراهية تدخلهم إلى النار ، و هذا ما يجعل المرء محبا للآخرين مهما كانت طبائعهم .

فالتصوف باعتباره آدابا تراعى في كل لحظة و طرفة و حركة و سكنة ؛تنعكس على نفس صاحبها فتطبعها بطابعها الأخلاقي العام ، بحيث يصبح صفاء في نفسه و عالم صفاء فيمن يحيط به " إنه رحب الصدر يسع الجميع برحابة صدره على أي أخلاق كانوا من البر أو الفجور ، وهو معطاء من ذات نفسه ، فهو لا يمنع بره و خيره و نوره من حوله ، يشع هدى و إصلاحا ، و هو لا يبالي من نصيب بخيره من الناس أبرارا كانوا أم فجارا "[1] ؛ فهو يسعى إلى أن يعدل الناس عن غيهم و فجورهم في هذه الحياة؛ ليرسي السكينة و السلام في البلاد أجمع .

وزيادة على سمة الصبر التي تحدث عنها التبريزي في مجموعة قواعده الأربعين – و هي بالطبع سمة حميدة – ، يرسي أيضا قيما أخلاقية أخرى و يدرجها ضمن قواعده ، مثال ذلك القول الحسن و ترك الكلام البذيء يقول : " لا ضرر ولا ضرار ، فقط كن رحيما ، لا تكن نماما حتى لو كانت كلماتك بريئة ، لأن الكلمات التي تنبعث من أفواهنا لا تتلاشى بل تظل في الفضاء اللانهائي إلى ما لا نهاية ، وستعود إلينا في الوقت المناسب ، إن معاناة إنسان واحد تؤذينا جميعا ، و بهجة إنسان واحد تجعلنا جميعا نبتسم"[2] ؛ فسعادة الفرد هي سعادة الجميع و حزنه هو حزن الجميع .

إن الكلمة الطيبة تعكس تربية صاحبها و ثقافته و أخلاقه ، و كلما ارتقى الإنسان في العلم و المعرفة و الدين ارتقى أسلوبه في التعامل مع الناس ، فالكلام الذي يتلفظ به الشخص يعبر به عن ذاته و عن هويته الشخصية .

---

[1] السهروردي ، عوارف المعارف ، تح : أحمد عبد الرحيم السايح ، ص18.

[2] أدهم العبودي ، حارس العشق لالهي ، ص164.

إن التبريزي ينهل من القرآن الشيء الكثير ؛و هذا ما يجعل قواعده معمول بها إلى حد بعيد ،و مصداقا لقوله تعالى في قول الكلمة الطيبة ، نذكر في هذا الصدد قوله سبحانه و تعالى :<<أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّـــهَا وَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ>> [1] ؛ فالقرآن الكريم يرمي إلى نشر الكلام الطيب بين الناس؛ و هذا مطابق لما يسعى إليه التبريزي أيضا، لذا نجده يوصي "شاهين" بقول الكلام الطيب لأنه سيعود بصورة مختلفة وفي وقت مختلف، وبنشر هذا النوع من الكلام بين الأشخاص يعم السلام؛ و ترتقي المجتمعات و تكون أكثر حضارة خالية من التعصب والجهوية .

وفي الشق الثاني من القاعدة يؤكد التبريزي على أهمية الفرد ووجوده في المجتمع؛ حيث نجده قد ربط سعادته بسعادة الجميع وتعاسته بتعاسة الجميع، وهذا ما يجعل المجتمع متماسكا مهتما ببعضه البعض في كل صغيرة و كبيرة ، فالفرد هو نواة المجتمع و هو مصدر قوته ، فالتعاون بين الأفراد يؤسس مجتمعا قويا قوامه التآخي و التعاون على الشدائد .

و تأكيدا على أن التبريزي يعتمد على القرآن الكريم و السنة في إرساء قواعده، نأخذ قوله صلى الله عليه و سلم : " مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر " و قوله أيضا : " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا " و كلا الحديثين يحملان نفس الفكرة ؛وهي أن الفرد و المجتمع كل متكامل ، و هذه هي النقطة التي يريد التبريزي الوصول إليها .

[1] سورة إبراهيم ، الآية 24-25.

وفي قاعدة مكملة لسابقتها يقول فيها التبريزي : " يشبه هذا العالم جبلا مكسوا بالثلج يردد صدى صوتك ، فكل ما تقوله سواء كان جيدا أم سيئا ، سيعود إليك على نحو ما ، لذلك إذا كان هناك شخص يتحدث بالسوء عنك ، فان التحدث عنه بالسوء بالطريقة نفسها يزيد الأمر سوءا ، و ستجد نفسك حبيس حلقة مفرغة من طاقة حقودة ، انطق و فكر طوال أربعين يوما و ليلة بأشياء لطيفة عن ذلك الشخص الذي يعمد إلى أذيتك، إن كل شيء سيصبح مختلفا في النهاية ، لأنك ستصبح مختلفا في داخلك " و بالطبع هذا ما سيحدث لو أن المرء يتجاهل السوء الذي يأتيه من عند غيره ، و يقابله هو برحابة صدر واسعة ، فهذه الميزات ضرورة اجتماعية في حياة الناس؛ فهي تبعد الحقد و الكراهية من نفس الصوفي ، يصبح بذلك محبا متسامحا حتى مع من ظلمه ، أو تعدى عليه بالقول أو بالفعل ، ينشئ هذا الأخير صورة عن إنسان خال من البغضاء و الحقد ، مفعما بروح المسامحة و العفو يجعل منه في نهاية الأمر مقربا إلى الذات الإلهية؛ التي يسعى و بجد إلى وصالها دوما وأبدا .

و ها هو ذا التبريزي ينبذ التطرف و يدعو إلى التسامح قائلا : " ما الحياة إلا دين مؤقت ، و ما هذا العالم إلا تقليد هزيل للحقيقة ، و الأطفال فقط هم الذين يخلطون بين اللعبة و الشيء الحقيقي مع ذلك فإما أن يفتتن البشر باللعبة أو يكسروها بازدراء و يرمونها جانبا ، في هذه الحياة تحاشى التطرف بجميع أنواعه ، لأنه سيحطم اتزانك الداخلي فالصوفي لا يتصرف بتطرف ، بل يظل متسامحا و معتدلا على الدوام "[1] ؛ فالتطرف صفة مذمومة في الشخص ، و لهذه الصفة عدة مرادفات ؛تحمل في طياتها نفس المعنى نذكر منها على سبيل المثال : الغلو ، التشدد ، التعصب ، الإرهاب ، و إذا حلت هذه الصفة في شخص فإنها تصبح مدمرة للذات و الجماعة على حد سواء .

[1] أدهم العبودي، حارس العشق الإلهي، ص163.

يفرق التبريزي في قواعده الأربعين بين كل من الوحدة والخلوة، وهي طريقة صوفية في المقام الأول يقول :

" أنت وحيد ، لم تبدأ خلوتك بعد ، وما أكبر الفرق بين الوحدة و الخلوة ، الوحدة مخادعة تخيل لك أنك تسير على درب العشق الحقيقي ثم تجد أنك تائه ، أما الخلوة فهي ديدن الدراويش إذ أنك عبر خلوتك لا تشعر بالوحدة على الإطلاق " [1]، فالوحدة هي العزلة عن الناس؛ و قد تتعدد أشكالها فنجد عزلة تامة و هناك الكثير من الأشخاص الذين يفضلونها ؛ و هذا يصبح مرض ضار بالإنسان ، ومن الناس من يحب العزلة للحظات معينة ؛و هذه الأخيرة أقل ضررا وفي نفس الوقت هي مفيدة في أوقات معينة ، أن الوحدة التامة أشد أنواع الألم قسوة .

أما بالنسبة للخلوة فتناولها القشيري في رسالته ، فيقول عنها : "الخلوة صفة أهل الصفوة و العزلة من أمارات الوصلة ، ولابد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه " و يصرح أبا عثمان المغربي قائلا : " من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، و خاليا من جميع الإرادات إلا رضا ربه "[2] ؛ فالوحدة هي أن يكون الشخص نائيا بنفسه عن الغير ، فيدخله هذا في اضطرابات نفسية عديدة ، على خلاف الخلوة التي تجعل منه شخصا متأملا عارفا لما يدور حوله ، فالخلوة نوع من الفرار إلى الله . يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : <<فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ >>[3]، و هذا ما يسعى الصوفية إلى تجسيده ، وهذه الخلوة عندهم تدوم حوالي أربعين يوما ، لذا يطلقون عليها أيضا اسم"الأربعينيات ".

---

[1] المصدر السابق، ص272.

[2] عبد الكريم بن هوزان القشيري ، الرسالة القشيرية ،ص105.

[3] سورة الذاريات ، الآية 50.

ويقول الشيخ عمر السهروردي" الخلوة غير العزلة ، فالخلوة من الأغيار ، و العزلة من النفس ، وما تدعو إليه وما يشغل عن الله ، فالخلوة : كثيرة الوجود ، و العزلة : قليلة الوجود "[1]، فالخلة هي طقس من طقوس الصوفية الواجب القيام به ، و هذا ما جعلها كثيرة الحدوث بخلاف الوحدة التي تكون نادرة .

هاهو ذا التبريزي في قاعدة أخرى يعرف فيها " العشق " قائلا : "العشق الأصيل هو الذي لا غاية من ورائه ، إذ لا قيمة للحياة من دون عشق في الأساس ، لا تسأل نفسك ما نوع العشق الذي تريده روحي أم مادي ، إلهي أم دنيوي ، غربي أم شرقي ، فالانقسامات لا تؤدي إلى مزيد من الانقسامات ، ليس العشق تسميات و لا علامات ولا تعاريف ،إنه كما هو ، نقي بسيط ، العشق ماء الحياة و العشيق هو روح من النار، يصبح الكون مختلفا عندما يعشق النار الماء " [2]، هذا هو المفهوم الذي يتبلور في ذهن التبريزي عن هذا المصطلح، وهو في حقيقية الأمر نفس الفكرة لدى معظم الصوفيين، فهم لا يرجون مقابلا من عشقهم ، و هذا ما أكدته رابعة العدوية في أقوالها المأثورة .

و إعلاء لقيمة الحب عند الصوفية ،يقول أيضا : " إن السعي وراء الحب يغيرنا فما من أحد يسعى وراء الحب إلا و ينضج أثناء رحلته ، فما إن تبدأ رحلة البحث عن الحب حتى يبدأ التغير من الداخل و الخارج"[3]، فالبحث عن ما يسمى بالحب في نظر التبريزي ؛هو عملية تجعل من النفس الواحدة نفسا أخرى مختلفة عن سابقتها داخليا و خارجيا ، فتغير وجهة نظر الواحد تجاه الموجودات في العالم الواقعي ، لذا نجد أن الصوفي مختلف في عدة أمور مع غيره من الأشخاص العاديين ، في سلوكه و لباسه و نمط حياته ، و هذا راجع إلى الحب الذي هو مبدأ لا يحيد عنه كل صوفي خلال رحلته

[1] السهروردي ،عوارف المعارف، تح: أحمد عبد الرحيم،توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية،المجلد الأول،ط1، 2006، ص245.

[2] أدهم العبودي ، حارس العشق الإلهي ،ص227.

[3] المصدر نفسه ،ص311.

الروحية الصوفية ، فالصوفي دوما في اعتكاف ، غايته تنشأة نفس خالية من الأحقاد و الكراهية ، فينسحب بجلدته إلى عالمه الكبير الذي يختص بالحرية و الخيال ؛و لذة السؤال عن حقائق الكون و الموجودات ، وعن كل ما هو مجهول يحتاج إلى كشف الستار عنه.

لقد جعل الصوفيون من العشق أساسا للمعرفة ، و بالنسبة لهم الإنسان الكامل هو الذي يصنف ضمن أعلى مراتب الارتقاء الصوفي ؛و هذه المرتبة لا تتحقق إلا بالحب .

تطرق التبريزي في قواعده إلى فكرة أن الكون يمشي بدقة و تنظيم شديد الإحكام على يد الله ، فكل شيء مسطر و منضبط لا يتقدم ولا يتأخر " لأن الله ميقاتي دقيق ، إنه دقيق إلى حد أن ترتيبه و تنظيمه يجعلان كل شيء على وجه الأرض يتم في حينه ، لا قبل دقيقة ولا بعد دقيقة ، و الساعة تمشي بدقة شديدة بالنسبة للجميع بلا استثناء ، و لكل شخص وقت للحب ووقت للموت " [1]،و هذه الفكرة صحيحة لا غبار عليها ، و لا يستطيع أيا كان أن ينفي هذا ، فكل شيء في الكون له وقته المحدد و تأكيدا على هذا نستدل بالآية الكريمة التالية : قال سبحانه و تعالى : << إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ>>[2] ،و قوله عز و جل :<<لَنْ يُؤَخِرُ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَ اللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ>>[3] ،و هذا دليل قاطع بأن الله لا يؤخر الآجال فكل نفس لها وقت معين لترفع فيه إلى السماء و هذه نقطة أكدها التبريزي في قوله : "لكل شخص وقت للحب و وقت للموت " .

وظف أدهم العبودي مجموعة من قواعد العشق الأربعين ، التي أرساها "التبريزي "و "جلال الدين الرومي" ، غذت هذه الأخيرة روايته و أضفت جمالا على الأسلوب ، و

[1] المصدر السابق، ص225.

[2] سورة نوح ،الآية 4.

[3] سورة المنافقون ،الآية 11.

علاوة على هذا؛ فإنها قواعد يسير على هداها الصوفي المريد ؛الذي يبحث عن الجوهر و الحقيقة الكامنة في هذا الكون .

تنطوي هذه القواعد على أخلاق سامية يسعى الدين الإسلامي إلى نشرها داخل كل المجتمعات؛ كالصبر و القول الطيب و مقابلة السيئة بالحسنة ، و التحلي بصفة الإحسان و حب الآخرين مهما كانت أصنافهم ، كل هذه القيم موجودة في القواعد الأربعين .

نشأت هذه القواعد على أعقاب فكر تأملي عميق من قبل كل "التبريزي "و تلميذه "جلال الدين الرومي "، استطاعا أن يلتقطا ببصيرتهما أفكارا لم يكن ليصل إليها أي صوفي بدأ رحلته للتّو ، فهي قواعد تعد أساس من أسس المذهب الصوفي ، و هي بمثابة السبيل الذي يوصل إلى العشق الإلهي الذي هو مبلغ و مطمح كل زاهد في الدنيا ، يختلي بنفسه بعيدا عن مرأى الناس ؛و هذه الخلوة " من أصعب و أخطر الفعاليات الصوفية لأن المريد يكون في مواجهة مكشوفة مع نفسه و أساسها الشرعي هو الاعتكاف ، وهي من السنن المؤكدة التي عمل بها محمد صلى الله عليه و سلم " [1]؛ فعلى المريد الذي ينوي الوصول إلى أعلى مراتب الصوفية ؛أن يتحلى بهذه الصفات و إلا سيكون هناك حاجز يمنع رؤية الحقيقة، و يصده عن المعرفة التامة التي يصبو جاهدا إلى بلوغها.

[1] جمال الدين فالح الكيلاني ، ثورة الروح استقراءات تفكيكية في الفلسفة الصوفية ، دار الزنبقة، القاهرة، ط1، 2014، ص58.

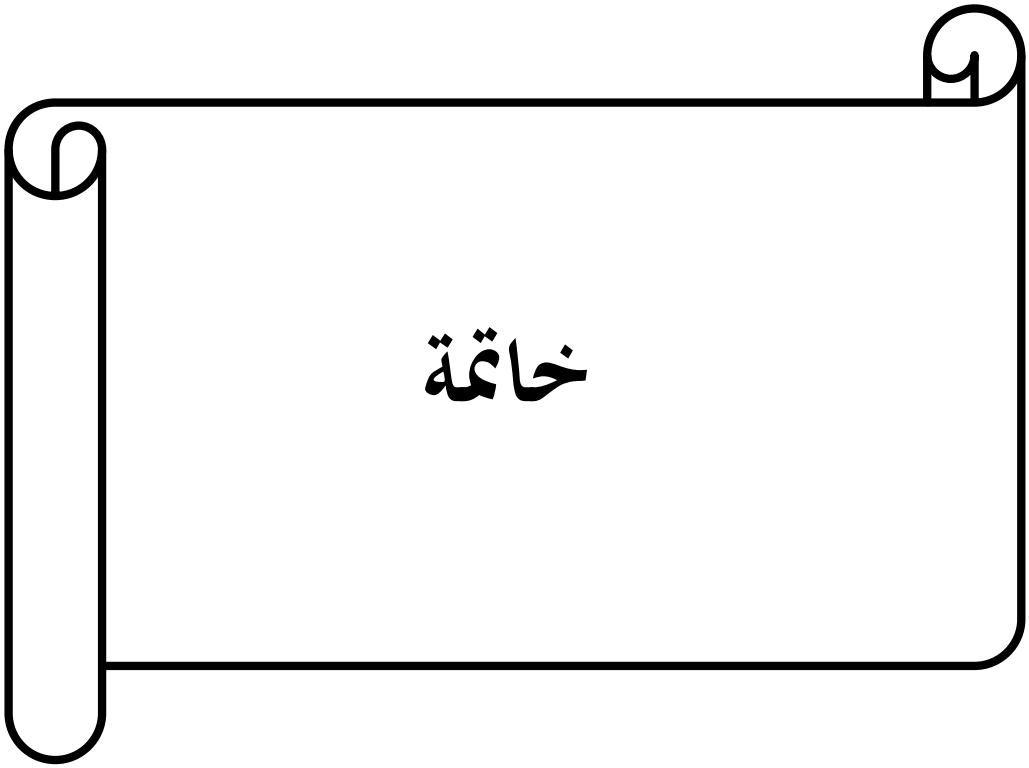
خاتمة

خاتمة :

على ضوء ما سبق ذكره ، أفضت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التالية :

1/ لعل أن أول نتيجة تمخضت عن هذه الدراسة ؛هي أن التيمة المهيمنة على هذا العمل الروائي، هي تيمة "العشق" ، التي كانت كل شخصيات الرواية تدور في فلكها ، و ذلك بشقيه " العشق الإنساني و العشق الإلهي " على حد سواء ،حيث استطاع أدهم العبودي و بتفنن ؛أن يصور لنا حالة الشخصيات و نظرتها تجاه هذين النوعين من العشق .

2/ يختلف العشق الإنساني عن العشق الإلهي في عدة فوارق جوهرية ، من بينها أن الحب الإنساني هو حب الشخص لشخص آخر؛ و غالبا ما يكون بين الرجل و المرأة ، و ينطوي هذا النوع من العشق على جانب غرائزي ، أما العشق الإلهي فهو حب خالص لوجه الله سبحانه و تعالى؛ و يتجرد فيه المحب من كل شيء عدا الله ، إضافة إلى أن العشق الإنساني قد يجر صاحبه إلى فوهة الانتحار في حالة الإفراط فيه ، عكس العشق الإلهي الذي يشعر صاحبه بأنه روح طاهرة تطفو على هذه الحياة .

3/ من أبرز الأعلام المؤسسين للمذهب الصوفي؛ نجد الشيخ الأكبر "محي الدين ابن عربي" و سلطان العاشقين "ابن الفارض" الذي يعتبر نفسه الإنسان الكامل الذي يجب على كل من سابقيه و لاحقيه أن ينهلوا من علمه و يتبعوه في رحلته الصوفية نحو الذات الإلهية و عشقها ، إضافة إلى "رابعة العدوية" ؛التي أخذت لقب شهيدة العشق الإلهي ؛حيث أمضت حياتها ناسكة متعبدة زاهدة عن الدنيا و ملذاتها ؛موجهة كلها لمعشوقها السماوي .

4/ العشق الإلهي مصطلح صوفي بالدرجة الأولى؛ لأن الصوفيين هم أول من أخرج هذا المصطلح إلى دائرة الوجود و خاضوا فيه ، و جعلوه أساسا من أسس مذهبهم هذا ؛ و هو أسمى درجات الحب الإنساني الذي يسعون إليه.

5/ إن المجال الحقيقي الذي يسير فيه المذهب الصوفي؛ هو مجال ديني أخلاقي من الدرجة الأولى، يسعى إلى الرقي بالنفس البشرية إلى مدارجها العليا ، للوصول إلى هدف سام؛ و هو عشق الذات الإلهية و الفناء في حبها ، و يقصدون بها الوصول إلى المعرفة؛ فلقد وضعوا الحب شرطا أساسيا للوصول إلى الحقيقة التامة .

6/ استعمل الصوفيون رموزا تدل على عشقهم لله ،و تمثلت في رمز المرأة و الخمرة ؛فنجد أن معظم أشعارهم جاءت بطابع غزلي و خمري ، فالقارئ للوهلة الأولى لأشعارهم يتبادر إلى ذهنه أنه أمام شعر غزلي عفيف أو أنه أمام قصيدة خمرية راقية ؛ إلا أن المعاني المخبئة بين السطور؛ تكشف الستار مختلفة ، فهي تطمح إلى نشر الصفات الحميدة التي تجعل المريد شخصا مختلفا عارفا لأسرار هذه الحياة حول الغرض الحقيقي المراد الكتابة فيه .

7/ لقد وظف أدهم العبودي في روايته هذه؛ مجموعة من قواعد العشق الأربعين التي وضعها "التبريزي" و "جلال الدين الرومي" ،أضفت هذه الأخيرة لمسة خاصة بين صفحات الرواية و زادتها رونقا ، و تمثل هذه القواعد الأربعين النبراس الذي من خلالها يرى المتصوفون الحياة نظرة

8/لقد اعتمد التبريزي في كتاباته لقواعد العشق على القرآن الكريم و السنة ،و هذا ما أكدناه سابقا ،و هذا ما جعل منها قواعد معمول بها إلى حد بعيد، جعلها أيضا أقل ؛عرضت للنقد من قبل الأدباء و النقاد في الساحة النقدية .

9/ساعدنا المنهج الموضوعاتي في الفهم الجلي للنص الروائي ؛و ذلك من خلال الكشف عن البنية المهيمنة للنص و المشكلة له ؛التي برزت و بقوة في هذا العمل؛ ألا و هي موضوعة العشق بنوعيه الإنساني و الإلهي ،و هذا واضح جلّي نظرا لتكرار هذه اللفظة و معانيها .

10/يستند الكاتب في رسم تيمات النص الأدبي على آلية "التكرار" التي تساعد على اسستخراجها بكل سهولة و بدون تعقيد ، بفضله يتسنى للقارئ معرفة الموضوع الذي المتطرق إليه في ذلك العمل سواءا كان شعرا أو نثرا.

و عسى أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا المتواضع ؛على أن النتائج التي توصلنا إليها تبقى نسبية و غير نهائية ؛تفتح المجال مستقبلا لبحوث أخرى مماثلة، تصل بالسؤال إلى مدى اشمل و رؤية أوسع و أعمق .

ملحق

التعريف بالكاتب

أدهم العبودي

اسمه الكامل هو أدهم محروس عبد العزيز محمد العبودي من مواليد الأقصر10/17/ 1981م ،كاتب وروائي مصري ،أصدر مجموعة قصصية وأربعروايات : ًجلباب النبي سنة 2011 م ،رواية باب العبد سنة 2012 م ، رواية متاهة الأولياء سنة 2013م ،رواية الطيبون سنة 2014 م.

كما حصل على عدة جوائز مصرية وعربية من بينها :جائزة إحسان عبد القدوس سنة2011م،جائزة الشارقة سنة 2012م،جائزة اتحاد الكتاب سنة 2013م.

نشرت له فصول من روايته في العديد من الدوريات الأدبية ؛منها الثقافة الجديدة ،اختارته منتديات "حلمك"كأفضل كاتب لعام 2011م،كما أختيرت مجموعته "جلباب النبي "كأفضل كاتب في نفس العام ،وفي استفتاء نفس المنتديات.

كما أثارت روايته الطيبون جدلا كبيرا عام 2014م،بعد أن طالب الأثريون بمنع الرواية من سوق الكتب لاتهامها بتشويه التاريخ الفرعوني ، وتم تقديم مذكرة لوزير الآثار بشأن الرواية ،كما تصدرت الرواية مبيعات سوق الكتب المصرية و المعارض الدولية في سنة 2014 م،وتصدرت قائمة أفضل الروايات العربية الصادرة في القرن الواحد و العشرين على موقع "goodreeds".

كان العبودي عضوا في اتحاد كتاب مصر ،ومقرر لجنة القصة باتحاد كتاب مصر ،كتب عن أعماله العديد من النقاد والكتاب أمثال: بهاء طاهر،أمير تاج السر ،أشرف البولاقي،أسامة حبشي ...وغيرهم كثيرون .

أجرى عدة محاورات مع العديد من الدوريات الأدبية و الثقافية :الاذاعة و التلفزيون،السياسة الكويتية،صدى البلد،الشارع ،البوابة ،القاهرة، الوطن وغيرها.

يعمل محاميا و مستشارا للتحكيم الدولي،أسس كيانات ثقافية في مدينة الأقصر منها: اتحاد مثقفي الأقصر و نادي القصة بالأقصر، والتي أسهمت بشكل فاعل في اثراء الحركة الثقافية و قدمت العديد من الكتاب الى الساحة العربية.

تم تكريم أدهم العبودي في مؤتمر أدباء مصر ، هذا إضافة إلى حضوره العديد من المؤتمرات داخل مصر وخارجها.

ملخص الرواية:

تتمحور رواية "حارس العشق الالهي "لأدهم العبودي حول فكرة رئيسة وهي "العشق عند الصوفية "وظف فيها عدة شخصيات ولعل من أبرزها :جلال الدين محمد بلخي ،محمد بن ملك داد التبريزي ،... الى غير ذلك من الشخصيات.

يذيل الروائي أدهم العبودي روايته بـــــ"التاريخ السري لمولانا جلال الدين الرومي"ويقصد به هنا التاريخ غير المعروف و غير المتداول ،يبدأ روايته بحديث "شاهين" الدرويش الأعمى الذي يتعرف على شمس الدين التبريزي ويلازمه في دربه وينهل من علمه إلى أن تم اغتيال شمس الدين ،وإضافة إلى الحديث عن علاقته مع كيرا التي يحبها في صمت ،والتي تتزوج من جلال الدين الرومي ،إضافة الى الحديث عن العشق الإلهي وعن صور الله التي يراها بها الصوفية، نجده أيضا يتناول الحديث عن الحروب المدمرة التي قام بها جيوش التتار التي قامت بمحو عدة مدن من بينها مدينة" بلخ" يصف جلال الدين الرومي أهوال الحرب وكيف سارت .

كما يسرد لنا ترحاله هو وبعض من سكان قريته الى مدن أخرى مجاورة جراء هذه الحروب بلغة في قمة البراعة و الرونق الفني ،يجعل القارئ يتخيل كل ما يقرأه و يتفاعل مع هذه المشاهد التي يرويها .

كما تحدث عن" كيرا"زوجة جلال الدين التي اغتصبت في إحدى الدور في كنيسة مسيحية من قبل أحد الرهبان ، تصف ذلك بكل وحشية وأصبحت بذلك كارهة للرجال ،وتتحدث كيرا عن موت أبيها جراء حزنه على ما حل بها .

تتزوج مرة أخرى بآزار الذي كان يعشقها منذ الصغر ،ويقوم هو الآخر بالتعدي عليها أثناء عرسهما ،لتطلب منه الطلاق ،ثم تتعرف على جلال الدين الرومي؛ الذي رأت فيه سمات الرجل المثالي الذي كانت تحلم به .

نجد شخصية أخرى وهي "كيما" التي أخذت هي الأخرى جزءا من الرواية، وهي زوجة شمس الدين التبريزي ؛التي أراد أن ينجب معها صبيا بعد مرور 5أعوام على زواجهما،كان التبريزي متعلقا بها أشد التعلق ،ولكن حلمه بالإنجاب منها لم يتحقق؛ و ماتت كيما مخلفة وراءها أثرا بالغ الأسى في نفس التبريزي.

ينسج أدهم العبودي روايته هذه بأصوات مختلفة تأتي متضافرة فيما بينها ،فنجده مثلا يتحدث عن شاهين، ثم يليه جلال الدين الرومي ،ثم تأتي شخصية أخرى ،ثم يعود إلى شاهين ،وهكذا دواليك إلى أن يصل في الختام إلى المزج بين كل من "جلال الدين الرمي "و"شمس الدين التبريزي"،فيعطي المشهد الأخير عنوان:"مولانا شمس الدين الرومي"يقول فيه:ذب لا تهمك الأسماء ،في هذه اللحظة بالذات ،نحن خارج حدود الوعي ،إن التوحد هو سر العشق الإلهي ... .

لقد نجح العبودي في كشف حقائق لم تكن معروفة من قبل ؛التي جاء بها من كتب نادرة لم تعرف من ذي قبل ،كما تحدث عن والد جلال الدين الرومي "بهاء الدين الملقب بسلطان العارفين"الذي كان معلما وقورا ،معروفا بغزارة علمه وأدبه ؛حيث كان يستدعى للتدريس في القرى التي كان يمر عليها أثناء هروبهم من الحرب ،وذكر أيضا أمه التي كانت هي الأخرى بمستوى عال من الثقافة ؛حيث كانت تحكي القصص التاريخية للأطفال، بغية المحافظة عليها وحمايتها من الزوال ؛ فتبقى بذلك متداولة جيلا عن جيل .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم برواية " ورش " عن نافع.

ــ رواية حارس العشق الإلهي ، أدهم العبودي ،المصري للنشر و التوزيع ، ط15.

المصادر:

1. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، المجلد 4 ، 1968.
2. أبو القاسم جار الله بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998.
3. السهروردي ،عوارف المعارف ، تح : أحمد عبد الرحيم السايح ، مكتبة الثقافة الدينية ، المجلد 1 ، ط1 ، 2006.
4. بطرس البستاني ، معجم المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ،1998.
5. شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية روضة المحبين و نزهة المشتاقين دار الكتب العلمية ط3 بيروت 2003.
6. عبد الكريم بن هوزان القشيري ، الرسالة القشيرية ،مطبعة بولاق ،1184ه.
7. علي بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة و الآلاف مؤسسة هنداوي ، ط1، 2016.
8. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ،ط4، 2004.
9. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، قاموس المحيط ، تح : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة .

10.محي الدين ابن عربي ،الفتوحات المكية، ج2، تح : عثمان يحيى، المكتبة العربية ط2 ،1405ه .

11.محي الدين ابن عربي، لوازم العشق الإلهي ، تح : موفق فوزي الجبر، دار معهد الطباعة، ط1، 1998.

المراجع:

1.أبو العلاء عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الاسلام ، دار الشعب ، بيروت.

2.أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط3.

3.أبو محمد الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تح : عبد الحليم محمود ، القاهرة ، 1960.

4.أبي عبد الرحمن السلمي ، المقدمة في التصوف ، تح : يوسف زيدان ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1999.

5.إدريس شاه ، الصوفيون ، تر : بيومي قنديل ، الهيئة العامة لدار الكتب و الوثائق القومية ، ط2، 2015.

6.إحسان الهي ظهير، التصوف المنشأ و المصادر ، إدارة ترجمان السنة ، ط1 ، 1986.

7.أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، المجلد1،ط1،2008.

8.أسماء خوالدية ، الرمز الصوفي بين الإغتراب بداهة والإغتراب قصدا ،منشورات الإختلاف ،لبنان ،ط1، 2014.

9.أنا ماري شيمل ، الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف ، تر : محمد اسماعيل السيد ، رضا حامد قطب ، منشورات الجمل ، بغداد ، ط1، 2006.

10.أنور الرفاعي،الإسلام في حضارته و نظمه ، دار الفكر ، دمشق ، 1982 ، ط1.

11.بوداوية بلميا ،التصوف في بلاد المغرب العربي ، دار القدس العربي ، ط1، 2009.

12.جمال الدين فاتح الكيلاني ،ثورة الروح استقراءات تفكيكية في الفلسفة الصوفية عند الشيخ عبد القادر الكيلاني ، دار الزنبقة ، القاهرة ،ط1،2014.

13.حميد لحميداني ،سحر الموضوع ، منشورات دراسات سيميائية ، ط2 ، المغرب .

14.داود بن محمد محمود بن القصيري ،شرح تائية ابن الفارض الكبرى ،تح: أحمد فريد المزيدي ،ط1،2004.

15.رجاء بن سلامة ،العشق و الكتابة ، منشورات الجمل ، ط1، 2003.

16.رضوان ظاظا ، مدخل إلى النقد الأدبي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1997.

17.زكرياء ابراهيم ،مشكلة الحب ، مكتبة مصر ،ط3، 1969.

18.سالم عبد الرزاق ، شعر التصوف في الأندلس ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط1 ، 2007.

19.سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ندرة للطباعة و النشر ، لبنان ط1 ، 1981.

20.سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ، شركة بابل للنشر و الطباعة ، الرباط ،1989.

21.عادل صادق ،العشق، مؤسسة الأهرام للنشر و التوزيع ،القاهرة ،1998.

22.عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفي ، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ،1998.

23.عبد الرحمن السلمي ، المقدمة في التصوف ،تح: يوسف زيدان ، دار الجيل ، بيروت ، ط1،1999.

24.عبد الرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط2، 1962.

25.عبد الكريم حسن ،النقد الموضوعي نظرية وتطبيق ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، ط1، 1990.

26.عبد المنعم حنفي، رابعة العدوية ،إمامة العاشقين و المحزونين ، دار الرشاد ط2، 1996.

27.عبد المنعم حفني، معجم المصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، بيروت ، ط2 ، 1987.

28.علي أحمد عبد الهادي الخطيب ، في رياض الأدب الصوفي ، دار نهضة الشرق ، ط1 ، 2001.

29.علي عبد الفتاح محمد عبدة ، المعراج عند ابن عربي ، كتاب ناشرون ، القاهرة .

30.عناية الله أبلاغ الأفغاني ، جلال الدين الرومي بين الصوفية و علماء الكلام ، الدار المصرية اللبنانية ،ط1، 1987.

31.ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق ،التصوف ، دار الكتاب اللبناني ، ط1، 1984.

32.محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ،المجلد 2، 1999.

33.محمد ابن ابراهيم ، العشق " حقيقته خطره أسبابه علاجه " سلسلة رسائل ارشادية ، 1422.

34.محمد علي التهناوي، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، مكتبة لبنان ، الجزء1 ، ط 1، 1996.

35.محمد مصطفى حلمي ، الحياة الروحية في الإسلام ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 2011.

36.محمد مصطفى حلمي ، ابن الفارض و الحب الإلهي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2.

37.محمود محمود الغراب ، الحب و المحبة الإلهية ، محي الدين ابن عربي ، دمشق ، 1983.

38.مراد وهبة، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2007.

39.مصطفى السعدني ، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف ، الاسكندرية.

40.منصور بن فضيل كافي ، منهج ابن عربي في تفسير أحكام القرآن الكريم ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2009 .

41.موفق فوزي الجبر ، لوازم الحب الإلهي، دار معد للطباعة و النشر ،سوريا ،ط1، 1998.

42.ميشال كولو، النقد الموضوعاتي ، تر : غسان السيد ، مجلة الآداب الأجنبية ، دمشق، 1998 .

43.نصر حامد ابو زيد ، فلسفة التأويل ، دراسة في تأويل القرآن عد محي الدين البن عربي ، دار الوحدة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1، 1983.

44.نهاد خياطة، دراسة في التجربة الصوفية ، دار المعرفة ،ط1، 1414ه – 1994.

45.هيفرو محمد علي ديركي ، جمالية الرمز الصوفي ، دار التكوين ، دمشق ط1، 2009.

46.هيفرو محمد علي ديركي ، مختصر اصطلاحات الصوفية ، دار التكوين للتأليف و الترجمة ، دمشق، 2008.

47.يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط1، 2007.

المقالات:

1.جلال الدين الرومي ، سلطان العارفين و زعيم المولوية ، الجزيرة فضاء من المعرفة الرقمية ،12/12/2016.

2.شرين أحمد، تعريف الحب "ما هو الحب؟"17/5/2016

3.فاتح عساف الحب الالهي عند الصوفية "حب بلا كراهية " جامعة فيلادلفيا.

المجلات:

1.جوليان ، جلال الدين "الموسيقى الصوفية تحرر الإنسان و تسمو به " مجلة الرأي الثقافي.

2.محمد علي الحسني سلطان العاشقين ابن الفارض و خصائصه الشعرية ، مجلة إضاءات نقدية – العدد الثالث – أيلول ، 2011 .

المعاجم الأجنبية :

1. Le rebert dictionnaire française .paris historique de la lange 1992.
2. Dictionnaire de la langue française .paris 1992.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر و عرفان	
مقدمة	أ – ب
الفصل الأول :مفاهيم أولية	1
مفهوم التيمة	2
المنهج الموضوعاتي	5
الإتجاه الصوفي	7
مفهوم العشق	14
مفهوم العشق الإلهي	18
أبرز أعلام الإتجاه الصوفي	23
الفصل الثاني :ملامح العشق في الرواية	37
تجلي تيمة العشق في رواية حارس العشق الإلهي	38
الحقل الدلالي للفظة "العشق"	54
دلالة قواعد العشق الأربعين في الرواية	59
خاتمة	73
الملحق	78
قائمة المصادر و المراجع	83

الملخص:

تعد تيمة "العشق" في رواية حارس العشق الإلهي البؤرة التي يتمحور حولها موضوع الرواية، و انقسمت هذه الموضوعة إلى شقين ؛ الأول عشق إلهي يتمثل في حب الذات الإلهية ،أما الثاني فهو عشق إنساني ،بشري يحمل هذا الأخير في طياته حبا إلهيا بصورة رمزية .

يعتبر المنهج الموضوعاتي هو المنهج الأمثل في استخراج التيمة المهيمنة على العمل الأدبي؛ و بخاصة في جانبه النثري.

قسم هذا البحث إلى فصلين الأول كان نظريا و فيه تم شرح أهم المصطلحات المتعلقة بالموضوع ، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا و فيه تم استخراج التيمة الأساسية للرواية.

Resumé

Le théme d’amour courtois dans le roman « le gardien de l’amour divin » est considéré comme l’épicentre antour duquel gravite le théme du ramanqui se sudivise essentiellement en deux sous-théme.

Le premier était un amour divin :qui se définit dans l’amour de dieu .

Le scand qui est un amour purement humain qui renferme en quelque sorte un amour divin d&ne facon symbolique .

L’Approche thématique est la meilleure méthade pour dégager la vacation daminante sur l’aemre littéraire en prose ce travail a été reparti en deux chapitres : l’un thorique et nationnel ,l’autre d’ordre pratique permettant de dégager la vacation on le théme principal du raman.